

جامعة الملك فيصل

التعليم عن بعد

محتوى مقر

# قضايا ثقافية معاصرة

د. بدران مسعود بن الحسن

عمل: Ibtihalino

للحصول على الملمة منه الأترنت : [ibtihalino.blogspot.com](http://ibtihalino.blogspot.com)

## المحاضرة التمهيديّة

### معنى الثقافة والقضايا الثقافية المعاصرة

#### تعريف الثقافة:

هي جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وتشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات.

أن الثقافة بمجموعها تمثل تميزاً للمجتمع أو الأمة عن المجتمعات والأمة الأخرى، أي أن الأمم تختلف وتتمايز عن بعضها في الثقافات وليس بالجوانب المادية ولا استعمال السيارات ولا الطب التشريحي ولكن بين المسلم والغربي والهندي التمايز بالثقافة والعقائد والنظم والأعراف.

#### عناصر الثقافة :

وللثقافة ثلاثة عناصر أساسية هي التي تشكل ثقافة الأمم مهما اختلفت فأي ثقافة في العالم لا بد أن تحوي هذه العناصر الثلاثة:

والعناصر هي ١- تفسير الوجود . ٢- القيم. ٣- النظم.

#### الأول : تفسير الوجود

هي تلك الإجابة التي يشعر الإنسان – أي إنسان – أنها مطلب لديه.. وهي عموماً إجابات الأسئلة الوجودية من أنا؟ كيف جئت؟ ما هدف وجودي؟ ما هو مصيري؟ ماذا بعد الحياة؟ كيف جاء هذا الكون وما علاقتي به؟ هل هذا الكون له إله؟ وكم إله له؟. إلخ ولا يهدأ الإنسان ولا يقر له قرار حتى يجد إجابات بغض النظر عن صحتها، سواء كانت الإجابات ربانية أو خرافية أو أسطورية أو فلسفية فإن كانت صحيحة هدأت نفسه واطمأنت وإلا فلا.

#### الثاني: القيم

هي المعايير التي يتعامل معها الإنسان في الحياة مثل العدل – الصدق- الوفاء – وهي تلك المثل التي تتميز بها الحياة الإنسانية عن الحياة الحيوانية.. أو هي القواعد التي يقيم الناس عليها حياتهم ليرتفعوا بها عن الحياة الحيوانية .

وهي على أنواع :

- قيم فكرية (قيم الحق) : معايير تحكم حركة الإنسان الفكرية.
- قيم الخير: القيم الأخلاقية : الصدق الوفاء البر الحياء.
- قيم الجمال: قيم الذوق ورؤية الجماليات.

#### الثالث: النظم التشريعية في جوانب الحياة

القوانين أو التعاليم والأعراف والتقاليد أو الشعائر التي يمارسها الإنسان في حياته. سواء اللصيقة بالإنسان (العبادة، الأخلاق) أو ما دونها (النظم التعليمية، الإعلامية، الإدارية..). وتشمل كذلك التشريعات التاريخية التي توارثتها الأجيال وأصبحت قانوناً ملزماً سواء كانت مدروسة أو غير مدروسة مثل نظم العشائر والبدو وهي نظم لا يستطيع الإنسان أن ينفك عنها .

من خلال هذه العناصر تتشكل شخصية الإنسان وتبنى ثقافته .

#### معنى القضايا الثقافية المعاصرة:

هي الموضوعات أو المسائل أو المشكلات التي تثيرها بعض جوانب الثقافة أو عناصرها، إما ما يتعلق منها بالوجود أو بالقيم أو بالنظم، ونتناولها في صيغة قضايا تواجهنا في واقعنا المعاصر الذي نعيشه، ونحتاج تجاهها على موقف، نحدد به وجهتنا.

## الوسطية

### المقدمة

- الوسطية سمة هذه الأمة ، وبها تُعرف دون الأمم، بل هي ميزة ميزها الله تعالى بها على غيرها، ورد وصف الأمة بها في القرآن الكريم في قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } (البقرة: من الآية ١٤٣).
- قال ابن تيمية رحمه الله: « قد خص الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بخصائص ميّزه الله بها على جميع الأنبياء والمرسلين، وجعل له شريعة ومنهاجاً أفضل شريعة، وأكمل منهاج مبين، كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس ... وجعلهم وسطاً عدلاً خياراً؛ فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان برسوله وكتبه، وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام »
- ومع كون الوسطية سمة من سمات الأمة، فإنه بتنازعها - في الواقع - عديد من الأطراف، منهم الجافي والمغالي، ومنهم من يأخذ بها في طرف دون طرف،
- بل تستخدم الوسطية أحياناً لتمرير بعض المفاهيم الخاطئة، وتلبيس الحق بالباطل، أو توظف لأغراض ظاهرها الدين وباطنها الدنيا، وتضيع الوسطية بين الإفراط والتفريط.
- ومن هنا كان من المهم بيان الوسطية ومجالاتها ومنهجها

### مفهوم الوسطية:

- ليس المقصود بالوسطية أنها ملتقى الطرفين دائماً؛ لأن هذه الأمة آخر الأمم، وإنما المقصود بها أن هذه الأمة أمة وسط؛ أي خيار عدول، لقوله تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } (البقرة: ١٤٣)،
- ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة». (البخاري، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة).
- والوسطية حالة محمودة تدفع صاحبها للالتزام بهدي الإسلام دون انحراف عنه، أو تغيير فيه، بل تستقي الهدي الصادق من النبع الصافي؛ لتجعل الأمة عادلة تقيم العدل بين الناس، وتنشر الخير، وتحقق عمارة الأرض بوحداية الله، والإخاء الإنساني بين البشر، فيعطى في ظل الإسلام كل ذي حق حقه.
- وقد أشار القرآن إلى وسطية الخيرية في آيتين من خمس آيات نصت على لفظة الوسطية، الأولى في قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } (البقرة ١٤٣)، والثانية في قوله تعالى: { قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ } (القلم ٢٨)، أوسطهم: أعدلهم وأرجحهم عقلاً.
- كما أن الوسطية تعني أعدل الأحوال، كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم للثلاثة رهط، حين تقالوا عبادة النبي، فقال لهم: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (الترغيب والترهيب: ٣/٣٠، ومسند أحمد: ٣/٢٨٥)

- وقد فهم الصحابة والسلف ذلك المعنى من الوسطية، فنقل عن الإمام علي -رضي الله عنه- قوله: «عليكم بالنمط الأوسط، فالإله ينزل العالي، وإليه يرتفع النازل». وفي رواية: «يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم العالي» (أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث)

- وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «إن من أحب الأمور إلى الله القصد في الجدة، والعفو في المقدر، والرفق في الولاية، وما رفق عبدٌ بعدد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة» (رواه ابن أبي شيبة وابن السري في الزهد)

- وقد عنى النبي صلى الله عليه وسلم بالوسطية -أيضا- أنها البعد عن الشطط والانحراف واللغو، فقال صلى الله عليه وسلم: «وإياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين» (أخرجه أحمد والنسائي، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم)

- وقوله صلى الله عليه وسلم: «يسرّوا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا، إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» (متفق عليه)

- وتقوم وسطية الإسلام على قواعد من القرآن والحديث النبوي.

- وفي قول الله تعالى في محكم التنزيل: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا). أوضح الطبري هذا التشبيه بقوله: بأن جعلناكم أمة وسطاً. والوسط في كلام العرب: الخيار. ثم قال: وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين. (تفسير الطبري ٢ / ٥).

- ووصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم - أي المسلمون - أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها. والخيار من الناس: عدولهم.

- وقال في الكشف<sup>١</sup> ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم "أمة وسطاً" أي خياراً.

- وقال الرازي الوسط: هو العدل في قول جماعة بدليل الآية والخبر والشعر والنقل والمعنى،

أما الآية فهي ( قَالَ أَوْسَطُهُمْ ) [ القلم: ٢٨ ]، والخبر: ما رواه القفال عن الثوري عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم: « أمة وسطاً<sup>١</sup> قال: عدلاً » وما رواه ابن السمعاني عن علي مرفوعاً: « خير الأمور أوسطها أو أوسطها » وفي رواية ابن عباس عند الديلمي مرفوعاً: « خير الأمور أوسطها » .

والشعر قول زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي العظام

- والنقل كما قال الجوهر في الصحاح: (أمة وسطاً) أي عدلاً،

- وأكد القرطبي تفسير الوسط بأنه العدل.

- فثبت أن الأمة الإسلامية متصفة بالعدالة، مما جعلها أهلاً لأداء الشهادة على الأمم الأخرى بأن رسلهم بلغوهم رسالات ربهم، ورسولنا شاهد علينا بأنه بلغنا الرسالة، وأدى الأمانة.

- كما ثبت عند القائلين بتفسير الوسط من كل شيء خياره: أن الأمة الإسلامية معتدلة متوسطة في رسالتها وشريعتها، ومبادئها وقيمتها، تلتزم الصراط السوي، وتلتزم منهج الاعتدال، وتتجه بإخلاص منقطع النظير لإصلاح الأمم والشعوب والأفراد بما يحقق لهم السعادة والنجاة، ويكفل لهم عز الدنيا، والفلاح في الآخرة، على أساس الجمع بين المثل العليا والواقع المشاهد.

- ثم إن اتصاف الأمة الإسلامية بالعدالة والخيرية يؤهلها لأن تكون أمة القيادة والتوجيه، لالتزامها شرف الكلمة والإحسان والعدل، والتوازن والاعتدال، ولصواب عقيدتها، وإحكام نظامها وشريعته ومنهجها.

## وسطية الأمة و الدين والرسالة

والمعنى في هذا السياق القرآني ينصرف إلى أمور ثلاثة:

أولها: الأمة الوسط. و ثانيها: الدين الوسط. و ثالثها: الرسالة الوسط.

- فالأمة الوسط التي تدين بالدين الوسط هي ذات رسالة وسطية، تحمل مبادئ الإيمان والحرية والمساواة والتكافل والتضامن بين جميع البشر، وتنشر قيم الخير والفضيلة، وتدعو الناس كافة إلى سواء السبيل، وتسلك بهم الطرق المستقيمة التي توصلهم إلى الأمن والأمان، والسلام والاطمئنان، وإلى سكينة القلب وراحة الوجدان.
- والأمة الوسط شاهدة على الناس الشهادة التي تؤكد التكليف الإلهي، **{لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}**.
- والشهادة بالحق هي أعلى الدرجات في سلم المسؤولية التي تتحملها الأمة الإسلامية وتنهض بأعبائها وتقوم بواجباتها.
- لقد اختار الله الأمة الإسلامية لتكون شاهدة على العالمين، لأنها أمة الوسط، لا تميل إلى التفريط ولا إلى الإفراط، ولأن خيرية الأمة من وسطيتها. يقول تعالى في كتابه العزيز: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}**. فالخيرية في هذا السياق هي الوسطية، والله سبحانه وتعالى وصف أمة الإسلام بالصفتين معاً، كما وصفها بصفات أخرى في آيات كثيرة.
- ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً، خصّها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج، كما قال تعالى: **{هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}**.
- لقد جعل الله الإسلام ديناً وسطاً وأمر المسلمين بأن يكونوا خياراً عدولاً، فهم خيار الأمم والوسط في الأمور كلها، بلا إفراط، ولا تفريط، في شأن الدين والدنيا، وبلا غلو في دينهم، ولا تقصير منهم في واجباتهم،
- فهم ليسوا بالماديين، ولا بالروحانيين، وإنما جمعوا حق الجسد وحق الروح، تمشياً مع الفطرة الإنسانية القائمة على أن الإنسان جسد وروح.
- و لعلنا بهذا الربط بين (وسطية الإسلام)، وبين (خيرية الأمة الإسلامية)، نصل إلى إدراك المفهوم العميق لهذا المبدأ السامي من مبادئ الإسلام. وهو مبدأ لم تكن تعرفه الأديان السماوية السابقة على الإسلام، وذلك مما يتطابق تطابقاً تاماً مع الدين الخاتم والرسالة الخاتمة.

- ولا ينبغي أن يتبادر إلى الذهن على أي نحو من الأنحاء أن الوسطية تعني مستوى من مستويات التوفيق بين قواعد ومبادئ وقيم ومثل نزولاً على مقتضى من المقتضيات، أو أنها ضرب من (التقريب) بين ما تباين واختلف من التشريعات والأحكام. فهذا الفهم للوسطية يجافي حقيقتها ويتعارض مع خصوصيتها.

- وجملة القول أن الوسطية هي تحقيق لمبدأ التوازن الذي تقوم عليه سنة الله في خلقه. يقول تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} أي بمقدار وبميزان.
- فالوسطية هي المنهج الرباني، والنظام الكوني الإلهي، وسنة الله في خلقه، وهي تتسجم مع الفطرة الإنسانية، ولذلك فالخير كله في الوسطية التي جاء بها الإسلام للأمة الإسلامية وللإنسانية جمعاء، في كل زمان ومكان.
- وقد بلغت الوسطية الإسلامية وتبلغ هذا المقام في حضارتنا، لأنها بنفيا الغلو الظالم والتطرف الباطل، إنما تمثل الفطرة الإنسانية الطبيعية في برائتها، وفي بساطتها، وبداهتها، وعمقها، وصدق تعبيرها عن فطرة الله التي فطر الناس عليها، إنها صبغة الله

### معالم الوسطية:

- ١- **توحيد مصادر المعرفة:** وذلك بالجمع بين الوحي والعقل؛ فالوحي هو مصدر التشريع، والعقل له دور في فهم الوحي، كما أنه مصدر من مصادر المعرفة البشرية العامة في الحياة، كما أنه يجمع بين علوم الشريعة وعلوم الحياة.
- ٢- **التلازم بين الظاهر والباطن:** فيجمع بين الاهتمام بأعمال الجوارح وأعمال القلوب، أو ما يعرف بفقهاء الظاهر وفقهاء الباطن.
- ٣- **الإتباع في الدين، و الإبداع في أمور الدنيا.**
- ٤- **صحة النقل وصراحة العقل:** فيجمع بين منهجي مدرسة الرأي ومدرسة الأثر.
- ٥- **الجمع بين عمارة الحياة والسمو الروحي:** فيتولد عنه الاتزان بين متطلبات الجسد والروح، وتكون الدنيا مزرعة الآخرة، ويجمع بينهما وفق منهج الله .
- ٦- **الاجتهاد الصادر من أهله وفي محله:** فلا هو يغلقه كلية، ولا يفتح لكل أحد.
- ٧- **الثبات في الأهداف و المرونة في الوسائل.**
- ٨- **التوازن في التعامل مع التراث** احتراماً بين التقديس و التبخيس.
- ٩- **التكامل في بناء الإنسان** عقلاً وروحاً وجسداً ووجداناً بصورة متوازنة.
- ١٠- **قوة المضمون وجمال العرض والأسلوب:** فكم من الجواهر الحسان ضاعت لسوء عرضها، وكم من الناس غشّ الآخرين ببضاعته المزجاة؛ لأنه أحسن عرضها.
- ١١- **الجمع بين التهذيب والتأديب،** بين البناء الداخلي والسلطان الخارجي.

- ١٢- **تحرير المرأة من الوافد المستلب ومن التقليد الموروث:** وذلك أن القضية اكتنفها طرفان: طرف يريد للمرأة الانسلاخ من القيم، وآخر يُكرهها على عادات وتقاليد لا علاقة لها بالشرع، والوسط أن يعيش كل من المرأة والرجل وفق منهج الله.

### مجالات و مظاهر الوسطية:

إن للوسطية في الإسلام مظاهر متعددة في مجالات متنوعة، فالوسطية الإسلامية كامنة في الاعتقاد والعبادات والشعائر والأخلاق والتشريع.

١. ففي مجال الاعتقاد نجد الإسلام وسطا بين الخرافيين الذين يصدقون بكل شيء ويؤمنون بغير برهان وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس، كما أنه وسط بين الملاحدة الذين لا يؤمنون بالله قط وبين الذين يعددون الآلهة حتى عبدوا الأبقار وأهلها الأوثان والأحجار.
٢. وهو وسط بين الذين يقدسون الأنبياء حتى رفعوهم إلى مرتبة الألوهية أو البنوة للإله وبين الذين كذبوهم واتهموهم وصبوا عليهم كؤوس العذاب، وهو وسط بين الذين يؤلهون الإنسان وبين الذين جعلوه أسير جبرية اقتصادية أو اجتماعية أو دينية
٣. الوسطية في العقيدة الموافقة للفطرة باعتماد منهج القرآن والسنة والسلف الصالح في أمر العقيدة، والبعد عن اصطلاحات الجدليين، والاهتمام ببيان أثر العقيدة على النفوس، واعتماد طريقتي المعرفة العقلية والعقلية في العقيدة؛ لتقوية الصلة بالله سبحانه.
٤. وفي مجال العبادات والشعائر نجد الإسلام وسطا بين الأديان والنحل التي ألغت الجانب (الرباني) -جانب العبادة- من فلسفتها وواجباتها، كالبودية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده. وبين الأديان والنحل التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الحياة والإنتاج، كالرهبانية المسيحية. فالإسلام يطلب من المسلم أداء شعائر محدودة، ثم يطلقه بعد ذلك ساعيا منتجا يمشي في مناكب الأرض ويأكل من رزق الله.
٥. وسطية الشعائر الدافعة للعمارة، فالتكاليف ليست كثيرة ولا شاقة، كما أنها لا تتعارض مع متطلبات الحياة من سعي لرزق وكدح لتأمين معاش.
٦. التوسط بين التمدب والتقليد: وما أحسن ما عبر عنه الإمام ابن القيم رحمه الله؛ حيث فرق بين التقليد والاتباع؛ فالاتباع عمل بقول الغير مع الحجة والدليل، أما التقليد فهو عمل بغير دليل.
٧. وسطية في الفتوى: بالمقارنة بين الكلي والجزئي، والموازنة بين المقاصد والفروع، والربط بين النصوص ومعتبرات المصالح في الفتاوى والآراء؛ فلا شطط ولا وكس.
٨. وفي مجال الأخلاق نجد الإسلام وسطا بين غلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان ملاكا أو شبه ملاك وبين غلاة الواقعيين الذين حسبوه حيوانا أو كالحيوان، فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق مركب فيه العقل وفيه الشهوة، فيه غريزة الحيوان وروحانية الملاك.
٩. وسطية في التعامل مع الآخر: فيجعل الحوار أساسا للتعامل مع الآخر، وإعطائه الحرية في ممارسة شعائره، وألا يكون الخلاف دافعا للعداء أو الاعتداء، بل العيش المشترك هو الجامع للتعاون، وأن المواطنة تقرب بين المختلفين، وتجعلهم يسعون للاشتراك في تحقيق المصالح المرجوة للجميع.
١٠. والإسلام وسط في النظرة إلى الحياة بين الذين أنكروا الآخرة واعتبروا الحياة الدنيا هي البداية والنهاية، وبين الذين رفضوا هذه الحياة وألغوا اعتبارها من وجودهم واعتبروها شرا تجب مقاومته والفرار منه، فحرموا على أنفسهم طبيعتها وزينتها.
١١. وفي مجال التشريع نجد الإسلام وسطا في التحليل والتحرير بين اليهودية التي أسرفت في التحريم وكثرت فيها المحرمات مما حرمه إسرائيل على نفسه ومما حرمه الله على اليهود جزاء بغيهم وظلمهم، وبين المسيحية التي أسرفت في الإباحة حتى أحلت الأشياء المنصوص على تحريمها في التوراة.
١٢. ومن المظاهر الفريدة في وسطية الإسلام أنه وازن بين الفردية والجماعية، بعكس التيارات الفلسفية والفكرية التي جاء بعضها ليطلق حرية الإنسان في كل شيء، والمذاهب الأخرى التي جاءت لتجعل خصوصيات الفرد مشاعا للمجتمع كله.
١٣. وسطية في التفاعل الحضاري: من خلال الفاعلية الإيجابية دون توقع أو استلاب، والاعتزاز بلا استعلاء، والتسامح بلا هوان، فالمسلمون أمة قائمة برأسها تتمتع بخصائصها الذاتية المتميزة، فهم كما وصفهم رسولهم الكريم: "المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم".

## عالمية الإسلام و الروابط البشرية

### مفهوم العالمية :

- لغة : العالمية نسبة إلى العالم ، والعالم في اللغة : الخلق كله ، وقيل كل ما حواه بطن الفلك ، وكل صنف من أصناف الخلق كعالم الحيوان وعالم النبات وغيرها.

- من ناحية المفهوم ، فالعالمية أو عالمية الإسلام تعني : أن رسالة الإسلام غير محدودة بعصر ولاجيل ولا بمكان ، فهي تخاطب كل الأمم وكل الأجناس وكل الشعوب وكل الطبقات وهي هداية رب الناس لكل الناس ورحمة الله لكل عباد الله .

- عالمية الإسلام معنى ولفظاً نطق بها القرآن ، وحينما نقول شيئاً عالمياً معناه أنه في العالم كله أو للعالم كله .  
- ولكن الإسلام للعالمين وليس فقط للعالم ، فالقرآن الكريم كما ورد في بعض الآيات وصف الرسالة الإسلامية بأنها للعالمين ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) ، ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ) ، ( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ) فإذا منتهى العالمية في خطابه.

- فالإسلام دين عالمي ارتضاه الله تعالى لجميع الخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو وحده الذي جاءت هدايته شاملة لجميع مناسط الحياة ومعالجة كل القضايا ، ويمكن تطبيق مبادئه في كل زمان ومكان والتشريع الإسلامي جاء شاملاً وكاملاً وخالداً ، لا يختص بزمان دون زمان ، ولا يقطر دون غيره ، ولا بخلق دون سواهم .

### مستند عالمية الإسلام :

- يستند مفهوم عالمية الإسلام على نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية كلها تجعل من المعلوم ضرورة أن الإسلام عالمي .

- وأنه عقيدة لا يفرد بها شعب أو مجتمع بعينه ، و لا يختص ببلد أو بلاد معينة ، بل هو دين ذو قوانين تسري على الأفراد على اختلافهم من العنصر ، والوطن ، واللسان .

- و لا يفترض لنفوذ حازماً بين بني الإنسان ، ولا يعترف بأية فواصل وتحديدات جنسية أو إقليمية أو زمنية فهو عام في المكان والزمان .

### أولاً : أدلة عالمية الإسلام من القرآن الكريم :

إذ نظرنا في نصوص القرآن الكريم نجد دلالة واضحة على عالمية الإسلام ، وذلك من عدة وجوه :

#### الوجه الأول : نصوص صريحة ومنها :

- النص الأول : ( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ) .  
النص الثاني : ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) .  
النص الثالث : ( قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ) .  
النص الرابع : ( وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) .  
النص الخامس : ( إِنَّهُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَ لِلْعَالَمِينَ ) .  
النص السادس : ( وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ) .  
النص السابع : ( هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ) .  
إن هذه الآيات تدل على عالمية الرسالة المحمدية بشكل لا لبس و شك فيه .

## الوجه الثاني : دعوة غير العرب :

جاء في القرآن الكريم دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمشركين إلى الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وبين لهم بأن الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله سواه ، قال تعالى : **(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ )** ، بل تجاوزت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم اليهود والنصارى والبشرية بأكملها فلم تقتصر على عالم الإنس فقط بل تعدت ذلك إلى عالم الجن أيضاً .

قال تعالى : **(قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نَشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا)**.

قال تعالى : **(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ)**.

## الوجه الثالث: خطابات القرآن ونداءاته العامة :

إن القرآن الكريم كثيراً ما يوجه خطابه إلى الناس غير مقيدة بشيء ، وهذا دليل واضح على أن خطابه وتوجيهاته تعم الناس كافة . ومن أمثله :

- قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)**.
  - وقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)**.
- وغيرها من الآيات كثير فهو يخاطب الناس جميعاً بقوله يا أيها الناس ولم يقل يا أيها العرب .

## الوجه الرابع : التشريعات القرآنية عالمية :

- يعتمد الإسلام في جميع أحكامه وتشريعاته ، و ما يخص الإنسان في معاشه ومعاده ، على طبيعة الإنسان التي يتساوى فيها جميع البشر.
- و لا يجد الباحث مهما أوتي من مقدرة علمية كبيرة فيما جاء به نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم أي طابع إقليمي ، أو صبغة طائفية .
- وتلك آية واضحة على أن دعوته دعوة عالمية لا تتحيز إلى فئة معينة ، و لا تنجرف إلى طائفة خاصة .

فالعبادات والمعاملات والأخلاق ، والنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والقضائي .. الخ ، لا تجد في ثنايا أيٍّ منها أي تفكير طائفي أو نزعة إقليمية .  
فمثلاً في المعاملات و ما يترتب عليها من مقاضاة بين الناس يأمر الله سبحانه وتعالى المسلم أينما وجد زماناً ومكاناً قائلاً **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)**.

## الوجه الخامس : الإسلام ينبذ أي مقومات للتفرقة بين الناس :

إن أقوى دليل على أن الإسلام رسالة عالمية مكافحته للنزاعات الإقليمية والطائفية ، فالإسلام لا يفرق بين أبيض وأسود ولا بين جنس وآخر . والمقياس الوحيد للتفاضل في الإسلام هو التقوى ، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)**.

## ثانياً: أدلة عالمية الإسلام من السنة النبوية المطهرة .

- **النص الأول:** هاهو صلى الله عليه وآله وسلم يخبر قومه قائلاً :  
"والله الذي لا اله الا هو اني رسول الله اليكم خاصة والى الناس عامة".

- **النص الثاني :** إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رحمةً مهداةً للناس كافة :  
" يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة". ( الحاكم والهيثمي )

- **النص الثالث :** اختص صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنبياء بأنه بعث للناس كافة :  
"أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحر وأسود". ( الزليعي )

- أرسل صلى الله عليه وآله وسلم كتباً إلى عظماء زمانه يدعوهم فيها للإسلام ، "فبعث سفراءه وفي أيدي كل واحد منهم كتاب خاص إلى قيصر الروم ، وكسرى فارس ، وعظيم القبط ، وملك الحبشة ... الخ".

- رسالته إلى كسرى ملك فارس : " بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الي كسرى عظيم فارس ، سلام علي من اتبع الهدى ، وامن بالله ورسوله ، وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ، وادعوك بدعاية الله ، فاني رسول الله الي الناس كافة ، لينذر من كان حيا ويحق القول علي الكافرين ، فاسلم تسلم ، فان ابيت فان اثم المجوس عليك " .

- وهذا أيضاً ماكتبه إلى قيصر ملك الروم يقول فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم .. إلى هرقل عظيم الروم : من اتبع الهدى . اما بعد فاني ادعوك بالإسلام اسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإنما عليك إثم الأريسين".

**ثالثاً: مرتكزات عالمية الإسلام و دعائمها :**

### ١/ عالمية الدعوة :

- إن أعظم الأدلة على عالمية الإسلام هو سرعة انتشاره ودخول الكثيرين فيه في العديد من المناطق ، اعتمادا على قوة الحجة في خطاب الدعوة الإسلامية للفكر الإنساني .

- وأبرز أمثلة هذا الانتشار هو مبادئ ديننا الحنيف التي تبرز عالمية الدعوة تجسيدا لوحدة النوع الإنساني وترسيخاً لمبدأ سواسية الناس في الخلقة ، وتحقيقاً لإرادة الله عز و جل في جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا ذلك التعارف الذي يقود إلى التعاون والتكامل والسعي إلى التفاضل بالتقوى.

### ٢/وحدة النوع الإنساني :

- يمتاز الإسلام بنظرته إلى وحدة النوع الإنساني ، فالناس يشكلون وحدة إنسانية لاتمايز بين شعوبها وأفرادها في الأصل أو الطبيعة أو المصير ، والناس جميعاً ينحدرون من أصل واحد : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) (النساء/ ١) .

- هذه النفس الواحدة \_ عند التدقيق والتحليل \_ تعود إلى ذكر أو أنثى ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ) . ( الحجرات / ١٣ ) ، ثم إن هذا الأصل الواحد يعود بعد ذلك إلى أب واحد ، ينتسب إلى التراب .

- يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : " أيها الناس: إن ر بكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحر فضل إلا بالتقوى". ( أحمد ) .

### ٣/ وحدة الطبيعة الإنسانية:

- هذه الطبيعة أو الفطرة الواحدة موجودة في الناس جميعاً ، وهي التي أكد عليها قول الله تعالى : (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) .

- وقد منح الإسلام هوية جديدة للإنسان ، وأحدث من أجل استيعاب هذه الهوية أمة جديدة لم يكن لها مثيل من بين الأمم .  
- لم تقم على أسس عرقية أو دينية أو لونية ، وإنما قامت على أساس الاعتراف بالإنسان ، فكان الإسلام دين الإنسان بحق ، اعترف بنوازه فأحكم لها ضوابطها .

- بل هو مواطن عالمي ، صور الله دخائله ونوازه تصويراً لم تبلغه فلسفات الأرض قديمها وحديثها ، وبوأه منزلة لم ترق به الأيديولوجيات مبلغها في قوله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) .

#### ٤ / مهمة الأمة الإسلامية ووظيفتها :

- الأمة الإسلامية أمة عالمية يجمعها أمر واحد ودين واحد ، وتكاليها واحدة ، وهي تحمل أمانة الشهادة على الناس يوم القيامة ، قال الله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) .

- ولكن هذه الوحدة البشرية التي جاء بها الإسلام لم تمنح خصوصيات الشعوب ، بل اعتبر الله تعالى التمايز بين الناس لونا وعرقا ولسانا آية من آياته عز وجل ،  
كما ورد في الآية الكريمة : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ) . (الروم / ٢٢) .

#### ٥ / عالمية الخطاب القرآني للفكر الإنساني :

- إن الخطاب القرآني قد خاطب العقل الإنساني بالإطلاق ، ودعاه إلى التأمل والتدبر والنظر في آيات كثيرة ، قال الله تعالى : ( إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) . ( آل عمران / ١٩٠) .

- والآيات القرآنية التي تدعو إلى النظر وإعمال الرأي و التأمل كثيرة ، وقد تصل إلى مئات الآيات ، وهي تحمل تربية عقلية ترقى بمستوى الفكر لمن تدبرها واتبع منهجها .

#### ٦ / عالمية القيم :

- والقيم الإسلامية عالمية في ذاتها ، مرنة في تطبيقها ، لأنها استجابة للفطرة السوية ، فقيم العدل والتعاون والمساواة وغيرها قيم عالمية في ذاتها ، تواضع عليها الناس واصطلحوا جميعاً ، واستحسنها العقل البشري في مختلف الأزمان .

- وهي واضحة في منهجها ، مرنة في تطبيقها ، تمتاز بالاعتدال والتوسط بين الحقوق والواجبات ، تلائم بين النزعة الفردية والمصلحة الاجتماعية ، وتغذي الروح والجيد ، وتطمح إلى المثال مع مراعاة الواقع وترسخ الثوابت وتساهم في التطور .

#### ٧ / عالمية الحلول للمشاكل الإنسانية :

قدم الإسلام حلولاً لمختلف معضلات الحياة في عقيدة واضحة ومنهج بيّن لا لبس فيه ، فداوى القلق ، وعالج اليأس ، وأذهب الغم ، وجعل للحالات النفسية أدوية يلمسها من تفهم معاني القرآن الكريم وتقياً ضلاله وعاش في رحابه ، واقتبس من نور النبوة ما يضيء به مسيرة حياته .

#### ٨ / عالمية النظام الاجتماعي :

أقام الإسلام نظاماً اجتماعياً رائداً ، أساسه التكافل ، وعماده نسيج اجتماعي متلاحم ، فالمؤمنون (إخوة) ، أخوة تعلقوا على رابطة النسب ، قال الله تعالى : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ) . (الحجرات / ١٠) ، هكذا فالمجتمع مفتوح لكل من أراد الانتماء إليه ، لذلك ضم إليه مختلف الأجناس والألوان والطبقات .

## مفهوم الروابط البشرية :

- تمثل الروابط البشرية حالة التواصل الفطرية والمكتسبة بين الأفراد والجماعات ، وما ينشأ عنها من حقوق وواجبات وعلاقات أدبية من تواد وتراحم وغيرها ، هذه الروابط يقوم عليها بنیان المجتمعات وتربط أفرادها بعضهم ببعض .  
- وقد قرر الإسلام مجموعة من المبادئ التي تدعم هذه الروابط وتقويها ، من أهمها : الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية ، والمساواة بين الناس ، والحرية والوفاء بالعهود والمواثيق ، والتعاون على البر ، والتسامح مع الآخر .

- (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا).  
(الاسراء/٧٠)

- وقال تعالى: ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ) .(المائدة/٢)

- كما بني الإسلام علاقة المجتمع الإسلامي بغيره على أساس السلم ، قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ). ( البقرة ٢٠٨ )  
- لأنه في بيئة السلم تقوى العلاقات الاجتماعية ، وتنمو الصلات الحميمة بين الناس ، ويشعرون بقيمتها وأثارها النافعة .

## أنواع الروابط البشرية :

١- **رابطة وحدة الأصل :** ( وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ).  
( الأنعام ٩٨ ) .

وقوله تعالى: ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) .  
( الحجرات ١٣ ) .

٢- **رابطة الأسرة والقرابة :** إن ارتباط الإنسان بأفراد أسرته أبا أو أما أو زوجة أو أولاداً أو أقارباً أو أرحاماً هو ارتباط فطري ، يقر الإسلام ، ويأمر بها : (وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَبِزِيِ الْقُرْبَىٰ وَالْبِرِّ وَالْوَالِدِينَ الْإِحْسَانَ وَبِذِي الْقُرْبَىٰ). (النساء ٣٦) ، (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ). (الأنفال ٧٥) ، ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ) . ( العنكبوت ٨ ) .

لكن بالرغم من ذلك فإنها لاتقدم على رابطة الإيمان التي يتعين أن تكون غاية عليا لتواصل المؤمن وعلاقته بغيره ، (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ..... أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ) . ( التوبة ٢٤ ) .

٣ - **رابطة الدين :** إن غاية الإسلام من رابطة الدين تحرير البشرية كلها من عبودية الأهواء ، والارتفاع بها عن أضرار الحقد وشوائب العصبية ، لتصوغ علاقاتهم الإنسانية صياغة فريدة ، قوامها الدين الحنيف ، ولحمتها التناصح والتأزر ، وجوهرها الإخلاص وسلامة النفس . ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ). ( الحجرات ١٠ ) ، ( وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ) . ( آل عمران ١٠٣ ) .

٤- **رابطة الميثاق :** لما كانت علاقة السلم هي الأصل في العلاقات الإنسانية ، وهي ضمان تحقيق الأمن والسلامة للشعوب والأمم ودفع الظلم عن المستضعفين ، فإن العهود التي تكون هذه الرابطة وتقويها يجب احترامها ، إذا كانت قائمة على العدل والإنصاف واحترام الآخرين والاعتراف بحقوقهم .

- فقد كانت عهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم عهداً عادلاً ، وحرّم الإسلام نقض العهد بعد إبرامه ، ( الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ) . ( البقرة ٢٧ ) .

- وأول من يجب لهم الوفاء بالعهد أهل الزمة المقيمين بيننا ، ولهم حق المواطنة . قال صلى الله عليه وآله وسلم : " من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة " . ( البخاري ) ، " ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة" ( أبو داود ) .

## الأستشراق

### مقدمة :

- كثير ما يتردد على ألسنة الباحثين وفي الصحف والمجلات والكتب كلمة **استشراق** و خاصة عندما يكون الحديث عن الغزو الفكري أو الثقافي وأثاره السيئة .

- وقد **بالغ البعض في ذم** الاستشراق وكل ما يمت إليه بصلة ، بينما يرى البعض أن الاستشراق **إنما هو جهد علمي** لدراسة الشرق .

- لقد شغل الاستشراق حيزاً كبيراً في الكتابات العربية وذلك لأن الحضارة الغربية التي نشأ فيها الاستشراق هي الحضارة الغالبة في العصر الحاضر .

فقد **كتب المستشرقون في شتى القضايا الإسلامية** ابتداءً من القرآن وتفسيره والسنة والتاريخ الإسلامي واللغة العربية وآدابها وشتى القضايا في الإسلام و حياة المسلمين اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.

### تعريف الاستشراق :

- ما معنى هذه الكلمة ؟

لو أرجعنا هذه الكلمة إلى أصلها لوجدناها مأخوذة من كلمة **شرق** ثم أضيف إليها **ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء** ، **و معناها طلب الشرق** ، و ليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق و آدابه و لغاته و أديانه.

- إن كلمة " الاستشراق " كلمة مولدة وعصرية ، ومأخوذة من الفعل ( **استشرق** ) ، ومن كلمة ( **شرق** ) ، وقد عرّف **صاحب معجم متن اللغة** كلمتي الاستشراق والمستشرقين بقوله : **الاستشراق طلب علوم الشرق ولغاتهم، ويسمى من يقوم بذلك (مستشرق) ، وجمعه مستشرقون ، وما ينجزونه يسمى استشراقاً.**

- وفي اللغة الانجليزية يعرف بـ " **أوريانتيزم** " (Orientalism) ، كما يعرف المستشرق بـ " **أوريانتيست** " (Orientalist) ، وكلمة الاستشراق في اللغة الانجليزية مأخوذة من كلمة " **أوريانت** " (Orient) التي هي بمعنى الشرق، فحقيقة مصطلح كلمة الاستشراق أنها ترجمة لكلمة " **أوريانتيزم** " (Orientalism) التي أدرجت في قاموس الأكاديمية الفرنسية " **في القرن التاسع عشر ، وبالتحديد في عام ١٨٣٨.**

- أي أن هذا المصطلح خرج **قبل القرن التاسع عشر** ، وبرز وتحدث عنه عدد من الغربيين ، ثم أدرج في ذلك القاموس في القرن التاسع عشر ميلادي .

### التعريف الاصطلاحي :

- يرى الباحثين الغربيين أن مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب **منذ قرنين من الزمان** على تفاوت بسيط بالنسبة للمعاجم الأوروبية المختلفة ، لكن الأمر المتيقن أن البحث في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير.

- ولعل كلمة **مستشرق** قد ظهر قبل مصطلح **استشراق** ، فهذا **أربري Arberry** في بحث له في هذا الموضوع يقول : " **والمدلول الأصلي لاصطلاح ( مستشرق ) كان في سنة ١٦٣٨ ( أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية ) .**

- وفي سنة **١٦٩١** وصف **آنتوني وود ( صمويل كلارك )** بأنه ( **استشراقي** ) يعني ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية .

- وقد عرّف **المستشرق رودى بارت** الاستشراق بأنه : " **علم يختص بفقهِ اللغة خاصة** " .

- ويعتمد **المستشرق الانجليزي آربري** تعريف قاموس أكسفورد الذي يعرف **المستشرق** بأنه " **من تبجّر في لغات الشرق وآدابه** " .

- أشار المستشرق الفرنسي (مكسيم رودنسون) إلى أن مصطلح الاستشراق ظهر في اللغة الفرنسية عام ١٧٩٩ بينما ظهر في اللغة الانجليزية عام ١٨٣٨ ، وأن الاستشراق إنما ظهر للحاجة إلى " إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق " .

ولو انتقلنا إلى العرب والمسلمين الذين تناولوا هذا المصطلح نجد أن (إدوارد سعيد) له عدة تعريفات للاستشراق منها أنه :

- "أسلوب في التفكير مبني على تميّز متعلق بوجود المعرفة بين "الشرق وبين الغرب".  
- " الاستشراق ليس مجرد موضوع سياسي أو حقل بحثي ينعكس سلباً باختلاف الثقافات والدراسات أو المؤسسات وليس تكديساً لمجموعة كبيرة من النصوص حول المشرق .. إنه بالتالي توزيع للوعي الجغرافي إلى نصوص جمالية وعلمية واقتصادية واجتماعية وفي فقه اللغة".

- " المجال المعرفي أو العلم الذي يتوصل به إلى الشرق بصورة منظمة كموضوع للتعلم والاكتشاف والتطبيق " .  
- " نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق " .

- تعريف (أحمد عبد الحميد غراب) : " دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون - من أهل الكتاب بوجه خاص للإسلام والمسلمين ، من شتى الجوانب : عقيدة ، وشريعة ، وثقافة ، وحضارة ، وتاريخاً ، ونظماً ، وثروات وإمكانات .. بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه ، وتضليلهم عنه ، وفرض التبعية للغرب عليهم ، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعى العلمية والموضوعية ، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي".

- كان الاستشراق و مازال يهتم بالشعوب الشرقية عموماً التي تضم الهند وجنوب شرق آسيا والصين واليابان وكوريا .  
- وعند مراجعة النشاطات الاستشراقية نجد أن هذه المناطق نالت اهتماماً كبيراً في الدراسات الاستشراقية . ولكنها عندما بدأت دراسة المناطق أو الدراسات الإقليمية أصبحت تخصص بدراسات خاصة بها مثل الدراسات الصينية أو الدراسات الهندية أو الدراسات اليابانية.  
أما الأصل فكانت كلها تضم تحت مصطلح واحد هو الاستشراق .

- رأى الغرب أن هذا المصطلح ينطوي على حمولات تاريخية ودلالات سلبية و أن هذا المصطلح لم يعد يفيد بوصف الباحثين المتخصصين في العالم الإسلامي . فكان من قرارات منظمة المؤتمرات العالمية في مؤتمرها الذي عقد في باريس عام ١٩٧٣ بأن يتم الاستغناء عن هذا المصطلح ، وإن يطلق عليه ( المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا) ، ثم صار

( المؤتمرات العالمية للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية).

وصار يطلق ع المستشرقين أنهم مستعربون Arabists أو إسلاميون Islamists أو باحثون في العلوم الإنسانية Humanists أو متخصصون في الدراسات الإقليمية أو الاجتماعية أو الاقتصادية ببلد معين أو منطقة جغرافية معينة.

### نشأة الاستشراق وتطوره :

- اختلف الباحثون في نشأة الاستشراق في تحديد سنة معينة أو فترة معينة لنشأة الاستشراق ،
- البعض قال إن الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام . حيث إن اهتمام النصارى بهذا الدين يعود إلى هجرة المسلمين إلى الحبشة .
- وكانت الفرصة الثانية لتعرف النصارى على هذا الدين حينما بعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رسله إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية .
- وهناك رأي بأن غزوة مؤتة التي كانت أول احتكاك عسكري تعد من البدايات للاستشراق.
- ويرى آخرون أن أول اهتمام بالإسلام والرد عليه بدأ (مع يوحنا الدمشقي ) و كتابه الذي حاول فيه أن يوضح للنصارى كيف يجادلون المسلمين.

- ويرى آخرون أن **الحروب الصليبية** هي بداية الاحتكاك الفعلي بين المسلمين والنصارى الأمر الذي دفع النصارى إلى محاولة التعرف على المسلمين.

وبخاصة بعد هزيمة **لويس التاسع** وأسرته في المنصورة وما تمخض عنه تفكيره من صعوبة هزيمة المسلمين عسكرياً فلا بد من التخطيط الفكري بجانب التخطيط الحربي والسياسي مما تمخض عنه بداية الدراسات الاستشرافية.

- ومن الآراء في بداية الاستشراق أنه بدأ بقرار من **مجمع فيينا الكنسي** الذي دعا إلى إنشاء كراسي لدراسة اللغات العربية والعبرية والسريانية في عدد من المدن الأوروبية مثل باريس وأكسفورد وغيرهما .

- وثمة رأي له عدد من المؤيدين أن احتكاك النصارى بالمسلمين في الأندلس هو الانطلاقة الحقيقية لمعرفة النصارى بالمسلمين والاهتمام بالعلوم الإسلامية ويميل إلى هذا الرأي في بعض رواد البحث في الاستشراق من المسلمين ومنهم **الشيخ الدكتور مصطفى السباعي** .

- ولاشك أن هذه البدايات لا تعد البداية الحقيقية للاستشراق وإنما تعد هذه جميعاً – كما يقول الدكتور النملة: " **من قبيل الإرهاص لها وما أتى بعدها يعد من قبيل تعميق الفكرة ، والتوسع فيها وشد الانتباه إليها**".

- **فالبداية الحقيقية** للاستشراق ، ولاسيما بعد أن بنت أوروبا نهضتها الصناعية والعلمية وأصبح فيها العديد من الجامعات ومراكز البحوث وأنفقت ولا تزال تنفق بسخاء على هذه البحوث **قد انطلقت منذ القرن السادس عشر** .  
- ثم ازداد النشاط الاستشراقي بعد تأسيس كراسٍ للغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية مثل أكسفورد عام ١٦٣٨ وكامبريدج عام ١٦٣٢ .

- ويضيف **سميلوفيتش** بأن تأسيس **الجمعيات العلمية** مثل الجمعية الآسيوية البنغالية والجمعية الاستشرافية الأمريكية والجمعية الملكية الآسيوية البريطانية وغيرها بمنزلة " **الانطلاقة الكبرى للاستشراق حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية فأسهمت جميعها إسهاماً فعالاً في البحث ، والاكتشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته فضلاً عما كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية** " .

- وكان من المشروعات الاستشرافية المهمة **إنشاء مدرسة اللغات الشرقية** الحية في فرنسا برئاسة المستشرق الفرنسي **سلفستر دي ساسي Silvester de Sacy** التي كانت تعد قبلة المستشرقين الأوروبيين وساهمت في صبغ الاستشراق بالصبغة الفرنسية مدة من الزمن .

- **وإنشاء الجمعيات الاستشرافية** و أيضاً بداية **منظمة المؤتمرات العالمية للمستشرقين عام ١٨٧٣** في عقد مؤتمراته السنوية.

## أهداف الاستشراق :

### ١- الهدف الديني :

- **تتداخل الدوافع مع الأهداف** أحياناً فإن الهدف الديني الذي أراد الاستشراق تحقيقه كان دافعه الأساس كما يقول **أصف حسين** أن رجال الدين والنصارى رأوا **قوة الإسلام واندفاع كثير من النصارى للدخول فيه** و استيلاء الإسلام على أراضي كانت النصرانية هي الدين الوحيد فيها حتى أصبح النصارى قلة فخاف هؤلاء على مكانتهم ومكاسبهم الدنيوية والدينية مما أجج أحقادهم فكان لابد **أن يقفوا في وجه الإسلام** حيث أنه ليس في الإسلام طبقة رجال دين أو أكليروس كما في النصرانية.

- فغاية الهدف الديني هي **معرفة الإسلام لمحاربهه وتشويهه وإبعاد النصارى عنه** ، وقد اتخذ النصارى المعرفة بالإسلام وسيلة لحمالات التنصير التي انطلقت إلى البلاد الإسلامية ، وكان **هدفها الأول تنفير النصارى** من الإسلام.

- ولذلك فإن الكتابات النصرانية المبكرة كانت من النوع المتعصب والحاقد جداً حتى إن بعض الباحثين الغربيين في العصر الحاضر كتب نقداً عنيفاً لإستشراق العصور الأوروبية الوسطى من أمثال نورمان دانيال **Norman Daniel** في كتابه الإسلام والغرب.

- فقد كتب **دانيال** أن أسباب حقد النصارى وسوء فهمهم للإسلام مازال بعضه يؤثر في موقف الأوروبيين من الإسلام بالرغم من التحسن العظيم الحديث في الفهم والذي أشاد به بعض المسلمين،  
- وكتاب **ريتشارد سودرن صورة الإسلام في العصور الوسطى** .

## ٢- الهدف العلمي :

- ما كان لأوروبا أن تنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ذلك وهو **دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية**.  
- فقد رأى زعماء أوروبا " أنه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجه إلى مواطن العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته ".  
- وبالرجوع إلى قوائم الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية لعرفنا حقيقة أهمية هذا الهدف من أهداف الاستشراق. فالغربيين لم يتركوا مجالاً كتب فيه العلماء المسلمون حتى درسوا هذه الكتابات وترجموا عنها ، وأخذوا منها.  
- وقد أشار **رودي بارت** في كتابه (عن الدراسات العربية الإسلامية) إلى إمكانية أن تقوم الأمة الإسلامية في العصر الحاضر بدراسة الغرب فيما يمكن أن يطلق عليه **علم الاستغراب** ، فإن المسلمين في نهضتهم الحاضرة بحاجة إلى معرفة الإنجازات العلمية التي توصل إليها الغرب عبر قرون من البحث والدراسة والاكتشافات العلمية والاستقرار السياسي والاقتصادي.

## ٣- الهدف الاقتصادي التجاري :

- عندما بدأت أوروبا نهضتها العلمية والصناعية والحضارية وكانت في **حاجة إلى المواد الأولية الخام** لتغذية مصانعها، كما أنهم أصبحوا بحاجة إلى **أسواق تجارية لتصريف بضائعهم** كان لابد لهم أن يتعرفوا إلى البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية ويمكن أن تكون أسواقاً مفتوحة لمنتجاتهم.  
- فكان الشرق الإسلامي والدول الأفريقية والآسيوية هي هذه البلاد فنشطوا في استكشافاتهم الجغرافية ودراساتهم الاجتماعية واللغوية والثقافية وغيرها.  
- وهناك من يرى أن **الهدف الاقتصادي كان هو الأساس** في الاستشراق وقد استغل الدين والتنصير لتحقيق الأهداف الاقتصادية.  
- ولم يتوقف الهدف الاقتصادي عند بدايات الاستشراق فإن هذا الهدف مازال أحد أهم الأهداف لاستمرار الدراسات الاستشراقية. فصانعهم ما تزال تنتج أكثر من حاجة أسواقهم المحلية كما أنهم ما زالوا بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي.

## ٤- الهدف السياسي الاستغلالي ( الاستعماري ) :

- لقد خدم الاستشراق الأهداف السياسية التوسعية للدول الغربية فقد سار المستشرقون في ركاب الاحتلال. وهم كما أطلق عليهم الأستاذ **محمود شاكر** رحمه الله ( **حملة هموم الشمال المسيحي** ) فقدموا معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها والاستيلاء على ثرواتها وخيراتها.  
- وقد اختلط الأمر في وقت من الأوقات بين المحتل والمستشرق فقد كان كثير من موظفي الاحتلال على دراية بالشرق لغة وتاريخاً وسياسة واقتصاداً.  
- وقد أصدر - على سبيل المثال - مستشرق بريطاني كتاباً من أربعة عشر مجلداً بعنوان ( **دليل الخليج : الجغرافي والتاريخي** ) وكان موظف الحكومات المحتلة لا يحصل على الوظيفة في إدارة الاحتلال ما لم يكن على دراية بالمنطقة التي سيعمل بها.

- من الأدلة على هذا الارتباط أن تأسيس مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن قد أسست بناء على اقتراح من أحد النواب في البرلمان البريطاني.  
فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رأت الحكومة البريطانية أن نفوذها في العالم الإسلامي بدأ ينحسر فكان لابد من الاهتمام بالدراسات العربية الإسلامية.

- ومما يؤكد ارتباط الدراسات العربية الإسلامية بالأهداف السياسية الاحتلالية (رغم انحسار الاحتلال العسكري) ، إن الحكومة الأمريكية مولت عدداً من المراكز للدراسات العربية الإسلامية في العديد من الجامعات الأمريكية ، ومازالت تمويل بعضها إما تمويلًا كاملاً أو تمويلًا جزئياً وفقاً لمدى ارتباط الدراسة بأهداف الحكومة الأمريكية وسياساتها.

- كما يستضيف الكونجرس وبخاصة لجنة الشؤون الخارجية أساتذة الجامعات والباحثين المتخصصين في الدراسات العربية الإسلامية لتقديم نتائج بحوثهم وإلقاء محاضرات على أعضاء اللجنة ، كما ينشر الكونجرس هذه المحاضرات والاستجابات نشرًا محدوداً لفائدة رجال السياسة الأمريكيين.

## ٥- الهدف الثقافي :

- من أبرز أهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية انطلاقاً من النظرة الاستغلالية التي ينظر بها إلى الشعوب الأخرى. ومن أبرز المجالات الثقافية نشر اللغات الأوروبية ومحاربة اللغة العربية. وصبغ البلاد العربية والإسلامية بالطابع الثقافي والغربي.
- وقد نشط الاستشراق في هذا المجال أيما نشاط . فأسس المعاهد والجامعات والمراكز العلمية والتنصيرية في أنحاء العالم الإسلامي إلى نشر ثقافته وفكره من خلال هؤلاء التلاميذ.
- وقد حرص الغرب على الغزو الثقافي من خلال التغريب الفكري بعدة طرق منها التعليم والإعلام والفن.
- وظهر الهدف الثقافي من خلال الدعوة إلى العامية وإلى محاربة الفصحى والحدثة في الأدب والفكر حيث نادى البعض بتحطيم السائد والموروث تفجير اللغة وغير ذلك من الدعوات.

## آثار الدراسات الاستشراقية :

- قدم الاستشراق خدمات كبيرة للغرب النصراني في خدمة أهدافه التي قام من أجلها من أهداف دينية و سياسية و اقتصادية و استعمارية و ثقافية.
- ولكنه في الوقت نفسه أثر تأثيرات سلبية في العالم الإسلامي في المجالات العقديّة والتشريعية و السياسية و الاقتصادية و الثقافية.

## ١- الآثار العقدية :

ظهر تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين وحتى الناس العاديين أو العامة الذين نادوا بفصل الدين عن الحياة أو ما ينطلق عليه العلمانية . أو التيارات الملحدة كالشيوعية و الماسونية وغيرها.  
الاهتمام المبالغ فيه بالطرق الصوفية المنحرفة والاهتمام بالفرق المنحرفة ، فيعطونها من وقتهم ومن دراساتهم ما تجعل الغريب عن الإسلام يظن أن هذا هو الإسلام.

## ٢- الآثار الاجتماعية :

- تعد الآثار الاجتماعية من أخطر الآثار التي مازال الاستشراق حريصاً على تحقيقها في العالم الإسلامي.
- فقد اهتم المستشرقون بدراسة المجتمعات الإسلامية ومعرفتها معرفة وثيقة حتى يمكنهم أن يؤثروا فيها بنجاح.
- وقد تمكن الاحتلال بالتعاون مع الاستشراق في إحداث تغييرات اجتماعية كبيرة في البلاد التي وقعت تحت الاحتلال الغربي.
- إحداث النزاعات بين أبناء البلاد الإسلامية بتشجيع النزعات الانفصالية.
- التأثير في المجتمعات الإسلامية . فقد اهتم الاستشراق بتشويه مكانة المرأة في الإسلام ، ونشر المزاعم عن اضطهاد الإسلام للمرأة وشجع الدعوات إلى التحرير المزعوم للمرأة .

### ٣- الآثار السياسية و الاقتصادية :

- يزعم الغربيون أن الديمقراطية الغربية هي أفضل نظام توصل إليه البشر حتى الآن، ولذلك فهم يسعون إلى أن يسود هذا النظام العالم أجمع ، ومن بين الدول التي يريدون لنظامهم أن يسودها البلاد الإسلامية.
- وقد سعوا إلى هذا من خلال عدة سبل وأبرزها هو انتقاد النظام السياسي الإسلامي. وقد ظهرت كتب كثيرة عن نظام الخلافة الإسلامي وافتروا على الخلفاء الراشدين .
- أما في المجال الاقتصادي فإن الغرب سعى إلى نشر الفكر الاقتصادي الغربي الاشتراكي والرأسمالي وذلك بمحاربة النظام الاقتصادي الإسلامي .
- والترويج للربا وطرق الكسب المختلفة دون النظر إلى حلها أو حرمتها.

### ٤- الآثار الثقافية و الفكرية :

- حقق الاستشراق نجاحاً كبيراً في التأثير في الحياة الثقافية والفكرية في العالم الإسلامي.
- تدخل في التكوين الفكري والثقافي لهذه الأمة سواء أكان في نظرتها لكتاب ربها سبحانه وتعالى ولسنة نبيها أو للفقهاء أو للعلوم الشرعية الأخرى أو في منهجية فهم هذه المصادر ومنهجية التعامل معها.
- كما أثر الفكر الغربي في المجالات الفكرية الأخرى كالتاريخ أو علم الاجتماع أو علم النفس أو علم الإنسان أو غيره من العلوم.
- أنشأ الغرب العديد من المدارس كما أن العديد من أبناء الأمة الإسلامية تلقوا تعليمهم على أيدي المستشرقين في الجامعات الغربية ( الأوروبية والأمريكية ) .
- ومن المنابر التي استطاع الغرب أن ينشر من خلالها الثقافة والفكر الغربيين وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز ونشر بأشكاله المتعددة .
- فقد أنشئت الصحف والمجلات التي تولى رئاسة تحريرها أو عملية الكتابة فيها كثير من الذين تشبعوا بالثقافة الغربية.
- وكان لأستشراق دوره في مجال الأدب شعراً ونثراً وقصة. فقد استغلت هذه الوسائل في نشر الفكر الغربي العلماني وبخاصة عن طريق ما سمي ( الحداثة ) التي تدعو إلى تحطيم السائد والموروث، وتفجير اللغة وتجاوز المقدس ونقد النصوص المقدسة.

### مجالات الدراسات الاستشراقية :

- ليس من المبالغة القول بأن المستشرقين لم يدعوا جانباً معرفياً لدى المسلمين لم يقوموا بدراسته والكتابة فيه.
- ويؤكد هذا الإنتاج الضخم للمستشرقين منذ بداية اهتمامهم المنظم بالإسلام.
- ولو راجعنا الإصدارات الببليوغرافية لإنتاج المستشرقين لتبين لنا ضخامة الجهود التي يبذلونها في دراسة الإسلام والمسلمين.
- ولا يقتصر إنتاج المستشرقين على الكتب ف لديهم المئات الدوريات ، والندوات والمؤتمرات .
- وأهم مجالات التي كتبوا فيها : القرآن الكريم ، السنة النبوية ، العقيدة الإسلامية والفرق ، الفقه الإسلامي وأصوله ، التاريخ الإسلامي ، الشعوب الإسلامية والبلدان ، اللغة العربية وآدابها، الصحوة الإسلامية ..

## العولمة

### تعريف العولمة

لغة : العولمة ترجمة لكلمة Mondialisation الفرنسية ، بمعنى جعل الشيء على مستوى عالمي ، والكلمة الفرنسية المذكورة إنما هي ترجمة Globalisation الإنجليزية التي ظهرت أولاً في الولايات المتحدة الأمريكية ، بمعنى تعميم وتوسيع دائرته ليشمل الكل.

- فهي إذا مصطلح يعني جعل العالم عالمياً واحداً، موجهاً توجيهاً واحداً في إطار حضارة واحدة ، ولذلك قد تسمى الكونية أو الكوكبية.
- ومن خلال المعنى اللغوي يمكننا أن نقول بأنّ العولمة إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني : تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة، وجعله يشمل الجميع أي العالم كله.
- جاء في المعجم العالم الجديد ويبستر Webster أن العولمة Globalisation هي : إكساب الشيء طابع العالمية، وبخاصة جعل نطاق الشيء، أو تطبيقه، عالمياً.

### اصطلاحاً :

- هي مصطلح حديث لم يدخل بعد في القواميس السياسية والاقتصادية. وفي الواقع يعبر مصطلح العولمة عن تطورين هامين هما :
- ١- التحديث (Modernity) .
- ٢- الاعتماد المتبادل (Inter-dependence) .

ويرتكز مفهوم العولمة على التقدم الهائل في التكنولوجيا والمعلوماتية ، بالإضافة إلى الروابط المتزايدة على كافة الأصعدة على الساحة الدولية المعاصرة.

- ظهرت العولمة أولاً كمصطلح في مجال التجارة والمال والاقتصاد، ثم أخذ يجري الحديث عنها بوصفها نظاماً أو نسقاً أو حالة ذات أبعاد متعددة، تتجاوز دائرة الاقتصاد، فتشمل إلى جانب ذلك المبادلات والاتصال والسياسة والفكر والتربية والاجتماع والأيدولوجيا.
- ولقد كثرت التعاريف التي توضح معنى العولمة ، نذكر هنا بعضاً منها ، ثم نذكر التعريف الذي نرى أنه يعبر عن المعنى الحقيقي لظاهرة العولمة.

- جيمس روزانو أحد علماء السياسة الأمريكيين عن العولمة : " أنها العلاقة بين مستويات متعددة لتحليل الاقتصاد والسياسة والثقافة والأيدولوجيا، وتشمل : إعادة الإنتاج، وتداخل الصناعات عبر الحدود وانتشار أسواق التمويل، وتمائل السلع المستهلكة لمختلف الدول نتيجة الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة " .

- الكاتب الأمريكي الشهير- وليم جريدر - وصف العولمة " بأنها آلة عجيبة نتجت عن الثورة الصناعية والتجارية العالمية، وأنها قادرة على الحصاد وعلى التدمير، وأنها تنطلق متجاهلة الحدود الدولية المعروفة، ويقدر ما هي منعشة، فهي مخيفة.

فلا يوجد من يمسك بدفة قيادتها، ومن ثم لا يمكن التحكم في سرعتها ولا في اتجاهاتها.

- نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني ، والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود ، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم ، والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم.
- إنها حرية حركة السلع والخدمات والأيدي العاملة ورأس المال والمعلومات عبر الحدود الوطنية والإقليمية.

- مصطفى محمود : " العولمة مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ الوطن من وطنيته وقوميته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي ، بحيث لا يبقى منه إلا خادم للقوى الكبرى ."

- العملية التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب ، والتي تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزئة إلى حالة الاقتراب والتوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز إلى حالة التجانس والتماثل ، وهنا يتشكل وعي عالمي وقيم موحدة تقوم على مبادئ إنسانية عامة.

- تعاضم شيوع نمط الحياة الاستهلاكي الغربي، وتعاضم آليات فرضه سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وعسكرياً.

- محاولة لفرض الفلسفة البرجماتية النفعية المادية العلمانية، وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادئ وتصورات على سكان العالم أجمع.

- العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع.

- أيديولوجياً تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمراته.

- منظومة من المبادئ السياسية والاقتصادية، ومن المفاهيم الاجتماعية والثقافية، ومن الأنظمة الإعلامية والمعلوماتية، ومن أنماط سلوك ومناهج الحياة، يُراد بها إكراه العالم كله على الاندماج فيها، وتبنيها ، والعمل بها، والعيش في إطارها ويمكن أن تعرف العولمة بما يلي :

" العولمة هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومجموعة القيم والعادات السائدة وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة ، والتي تزعم أنها سيدة الكون وحامية النظام العالمي الجديد ."

### أسباب بروز ظاهرة العولمة :

هناك أربعة عناصر أساسية يعتقدون أنها أدت إلى بروز تيار العولمة، وهي :

- **تحرير التجارة الدولية :** ويقصدون به تكامل الاقتصاديات المتقدمة والنامية في سوق عالمية واحدة، مفتوحة لكافة القوى الاقتصادية في العالم وخاضعة لمبدأ التنافس الحر.

- **تدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة :** حدثت تطورات هامة خلال السنوات الأخيرة تمثلت في ظهور أدوات ومنتجات مالية مستحدثة ومتعددة، وأنظمة الحاسب الآلي ووسائل الاتصال والتي كفلت سرعة انتشار هذه المنتجات ، وتحولت أنشطة البنوك التقليدية إلى بنوك شاملة ، تعتمد إلى حد كبير على إيراداتها من العمولات المكتسبة من الصفقات الاستثمارية من خارج موازنتها العمومية لسببين رئيسيين هما :

١- تحرير أسواق النقد العالمية من القيود.

٢- الثورة العالمية في الاتصالات الناجمة عن الوسائل والأدوات التكنولوجية الجديدة.

- **الثورة المعرفية :** وتتمثل في التقدم العلمي والتكنولوجي، وهذا التقدم العلمي جعل العالم أكثر اندماجاً كما سهل حركة الأموال والسلع والخدمات والأفراد، ومن ثم برزت ظاهرة العولمة، والجدير بالذكر أن صناعة تقنية المعلومات تتركز في عدد محدود ، ومن الدول المتقدمة أو الصناعية دون غيرها.

- **تعاضم دور الشركات متعددة الجنسيات :** تأثير هذه الشركات كقوة كبرى مؤثرة وراء التحولات في النشاط الاقتصادي العالمي إلى الأسباب التالية :

١- تحكم هذه الشركات في نشاط اقتصادي في أكثر من قطر وإشاعتها ثقافة استهلاكية موحدة.

٢- قدرتها على استغلال الفوارق بين الدول في هبات الموارد.

٣- مرونتها الجغرافية.

## العناصر التي تتكون منها العولمة :

### ١- تعميم الرأسمالية :

فأصبحت قيم السوق ، والتجارة الحرة والانفتاح الاقتصادي، والتبادل التجاري، وانتقال السلع ورؤوس الأموال، وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات، هي القيم الرائجة، وتقود ذلك أمريكا وتفرضها عن طريق المؤسسات العالمية التابعة للأمم المتحدة، وخاصة مؤسسة البنك الدولي، ومؤسسة النقد الدولي، وعن طريق الاتفاقات العالمية التي تقرأها تلك المؤسسات كاتفاقية الجات والمنظمة العالمية للتجارة وغيرها.

### ٢- القطب الواحد :

تفردت أمريكا بقيادة العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ، وتفكيك منظومته الدولية المسمى (حلف وارسو)، إذ أنه لم تبلغ دولة عظمى في التاريخ قوة أمريكا العسكرية والاقتصادية، مما جعل هذا التفرد خطيراً على الآخرين في كل المجالات الاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، والاجتماعية.

### ٣- ثورة التقنيات والمعلومات :

التطورات المثيرة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، التي تتيح للأفراد والدول والمجتمعات الارتباط بعدد لا يحصى من الوسائل التي تتراوح بين الكبلات الضوئية، والفاكسات ومحطات الإذاعة، والقنوات التلفزيونية الأرضية والفضائية، التي تتيح برامجها المختلفة عبر حوالي ٢٠٠٠ مركبة فضائية، بالإضافة إلى أجهزة الكمبيوتر، والبريد الإلكتروني، وشبكة المعلومات الدولية التي تربط العالم بتكاليف أقل، وبوضوح أكثر على مدار الساعة، لقد تحولت تكنولوجيا المعلومات إلى أهم مصدر من مصادر الثروة، أو قوة من القوى الاجتماعية والسياسية والثقافية الكاسحة في عالم اليوم.

## أهداف العولمة

### أولاً : الأهداف والآثار الاقتصادية :

**أولاً : السيطرة على رؤوس المال العربية،** واستثماراتها في الغرب فنتيجة عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والتبعية النفسية للغرب تصب هذه الأموال هناك لتدار حسب المنظومة الغربية.

**ثانياً : الهيمنة الأمريكية على اقتصاديات العالم** من خلال القضاء على سلطة وقوة الدولة الوطنية في المجال الاقتصادي، بحيث تصبح الدولة تحت رحمة صندوق النقد الدولي، حين تستجدي منه المعونة والمساعدة عبر بوابة القروض ذات الشروط المجحفة، وخاضعة لسيطرة الاحتكارات والشركات الأمريكية الكبرى على اقتصاد الدول.

**ثالثاً : تحقيق مصالح المجموعات الغنية في الدول الغربية** والقوى المتحالفة معها في الدول الأخرى على حساب شعوب العالم .

وترتب على ذلك ما يلي :

- ١- إنهاء دور القطاع العام وإبعاد الدولة عن إدارة الاقتصاد الوطني.
- ٢- عولمة الوحدات الاقتصادية وإحاقها بالسوق الدولية لإدارتها مركزياً من الخارج.
- ٣- العمل على اختراق السوق العربية من قبل السوق الأجنبي.
- ٤- إدارة الاقتصاديات الوطنية وفق اعتبارات السوق العالمية بعيداً عن متطلبات التنمية الوطنية.
- ٥- العمل على إعادة هيكلة المنطقة العربية في ضوء التكتلات الدولية.
- ٦- الإغواء الاقتصادي : ويعني إغواء الدول المتواضعة تقنياً وعلمياً واقتصادياً بمشاركة العمالقة في مشاريع عابرة القارات.
- ٧- السيطرة الاقتصادية ذات المظاهر المتعددة : كسواء موارد الدول المستضعفة وموادها الخام بأقل الأسعار، وإعادة تصنيعها ثم بيعها لها في صورة جديدة بأعلى الأسعار.

## ومن الأخطار الاقتصادية لهذه العولمة :

- ١- تركيز الثروة المالية في يد قلة من الناس أو قلة من الدول.
- ٢- سيطرة الشركات العملاقة عملياً على الاقتصاد العالمي، إن خمس دول - الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وفرنسا وألمانيا وبريطانيا - تتوزع فيما بينهما ١٧٢ شركة من أصل مائتي شركة من الشركات العالمية العملاقة.
- ٣- تعميق التفاوت في توزيع الدخل والثروة بين الناس بل بين المواطنين في الدولة الواحدة، واختزال طاقات شعوب العالم إلى طاقة دفع لماكينه الحياة البراجماتية الاستهلاكية للقوى الرأسمالية والسياسة الغربية المسيطرة.
- ٤- استئثار قلة من سكان الدولة الواحدة بالقسم الأكبر من الدخل الوطني والثروة المحلية، في الوقت الذي يعيش أغلبية السكان حياة القلة والشقاء.
- ٥- النمو المطرد للبطالة، وانخفاض الأجور وما يرتبط بها من تقليص في قدرة المستهلكين واتساع دائرة المحرومين.
- ٦- فرض السياسات الاقتصادية والزراعية على دول العالم - وخاصة النامية - بهدف تعطيل التنمية الاقتصادية، وإبقائها سوقاً استهلاكية رائجة للمنتجات الغربية.
- ٧- إضعاف قوة موارد الثروة المالية العربية المتمثلة في النفط حيث تم إضعاف أهميته كسلعة حينما تم استثناءه من السلع التي تخضع لحرية التجارة الدولية - أسوة بتجارة المعلومات - من تخفيض الضرائب والقيود الجمركية المفروضة عليه من الدول المستهلكة.
- ٨- ارتفاع أسعار المواد الغذائية نتيجة إلغاء هذه الدول الدعم المالي الذي كانت تقدمه للسلع الغذائية، وبسبب الاحتكار والمنافسة غير المتكافئة من الدول الكبرى، وقيود الجودة وشروط المواصفات العالمية التي تفرضها الاتفاقيات التجارية والصناعية الدولية.
- ٩- عملية الإغراق تطرح في الأسواق سلع مستوردة بأسعار تقل كثيراً عن سعر المثل في السوق المحلي.

## ثانياً : الأهداف والآثار السياسية :

- ١- فرض السيطرة السياسية الغربية على الأنظمة الحاكمة والشعوب التابعة لها، والتحكم في مركز القرار السياسي وصناعته في دول العالم لخدمة المصالح الأمريكية والقوى الصهيونية.
- ٢- إضعاف فاعلية المنظمات والتجمعات السياسية الإقليمية والدولية والعمل على تغييبها الكامل كقوى مؤثرة في الساحة العالمية والإقليمية.
- ٣- إضعاف سلطة الدولة الوطنية، أو إلغاء دورها وتقليل فاعليتها، وقتل روح الانتماء في نفوس أبنائها، فالعولمة نظام يقفز على الدولة والوطن والأمة، واستبدال ذلك بالإنسانية، إنها نظام يفتح الحدود أمام الشبكات الإعلامية، والشركات المتعددة الجنسيات.
- ٤- إحداث تجزئة داخلية في كل بلد عربي أو إسلامي، حتى ينشغلوا بأنفسهم وينسوا تماماً أنهم أمه عربية واحدة، ينتمون إلى جامعة إسلامية واحدة.

## ثالثاً : الأهداف والآثار الثقافية :

- تقوم العولمة في الجانب الثقافي على انتشار المعلومات، وسهولة حركتها، وزيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات، أي تقوم على إيجاد ثقافة عالمية، وعولمة الاتصالات، عن طريق البث التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية، وبصورة أكثر عمقاً خلال شبكة الإنترنت التي تربط البشر بكل أنحاء المعمورة.

- كما تعني العولمة الثقافية توحيد القيم وخاصة حول المرأة والأسرة، باختصار تركز العولمة الثقافية على مفهوم الشمولية ثقافة بلا حدود، وآلة ذلك الإعلان والتقنيات.

- ولعلّ من أخطر أهداف العولمة ما يعرف بالعولمة الثقافية فهي تتجاوز الحدود التي أقامتها الشعوب لتحمي كيان وجودها، وماله من خصائص تاريخية وقومية وسياسية ودينية، ولتحمي ثرواتها الطبيعية والبشرية وتراثها الفكري الثقافي.

- تسييد الثقافة الرأسمالية لتصبح الثقافة العليا، كما أنها ترسم حدوداً أخرى مختلفة عن الحدود الوطنية مستخدمة في ذلك شبكات الهيمنة العالمية على الاقتصاد والأنواع والثقافة.

- **هذه الحدود هي :** حدود الفضاء ( **السيرنيتي** ) والذي هو بحق وطن جديد لا ينتمي لا إلى الجغرافيا ولا إلى التاريخ هو وطن بدون حدود، بدون ذاكرة، إنه وطن تبنيه شبكات الاتصال المعلوماتية الإلكترونية.

- إن العولمة لا تكتفي بتسييد ثقافة ما ، بل تنفي الثقافة من حيث المبدأ، وذلك لأن الثقافة التي يجري تسييدها تعبر عن عداء شديد لأي صورة من صور التميز، إن الثقافة الغربية تريد من العالم أجمع أن يعتمد المعايير المادية النفعية الغربية، كأساس لتطوره، وكقيمة اجتماعية وأخلاقية.

يقول العالم الأمريكي المعروف ( **ناعوم تشومسكي** ) إن العولمة الثقافية ليست سوى نقلة نوعية في تاريخ الإعلام ، تعزز سيطرة المركز الأمريكي على الأطراف ، أي على العالم كله.

## ومن آثار العولمة في الهوية الثقافية :

١- شيوع الثقافة الاستهلاكية – لأن العولمة تمجّد ثقافة الاستهلاك – التي استخدمت كأداة قوية فاعلة في إطلاق شهوات الاستهلاك إلى أقصى حد.

٢- تغريب الإنسان المسلم وعزله عن قضاياها و همومها الإسلامية و إدخال الضعف لديه و التشكيك في جميع قناعاته الدينية و هويته الثقافية.

٣- إشاعة ما يسمى بأدب الجنس وثقافة العنف التي من شأنها تنشئة أجيال كاملة تؤمن بالعنف كأسلوب للحياة وكظاهرة عادية وطبيعية وما يترتب على ذلك من انتشار الرذيلة والجريمة والعنف في المجتمعات الإسلامية.

٤- انتشار نوعية مميزة من الثقافة المادية والمعنوية الأمريكية حيث سيطرت الثقافة الأمريكية الشعبية على أذواق البشر فأصبحت موسيقى و غناء مايكل جاكسون ، و تليفزيون رامبو ، وسينما هوليوود هي الآليات والنماذج السائدة في مختلف أنحاء العالم وأصبحت اللغة الإنجليزية ذات اللكنة الأمريكية هي اللغة السائدة.

٥- انتشار الأزياء والمنتجات الأمريكية في كثير من الدول الإسلامية، لأن هذه السلع تحمل في طياتها ثقافة مغايرة تسحق ثقافات الأمم المستوردة لها وظهور اللغة الإنجليزية على واجهات المحلات والشركات، وعلى اللعب والهدايا وعلى ملابس الأطفال والشباب.

## رابعاً : الأهداف والآثار الدينية :

- ١- التشكيك في المعتقدات الدينية وطمس المقدسات لدى الشعوب المسلمة لصالح الفكر المادي اللاديني الغربي، أو إحلال الفلسفة المادية الغربية محل العقيدة الإسلامية.
- ٢- استبعاد الإسلام وإقصاؤه عن الحكم والتشريع، وعن التربية والأخلاق وإفساح المجال للنظم والقوانين والقيم الغربية المستمدة من الفلسفة المادية والعلمانية والبرجماتية.
- ٣- تحويل المناسبات الدينية إلى مناسبات استهلاكية، وذلك بتفريغها من القيم والغايات الإيمانية إلى قيم السوق الاستهلاكية، فعلى سبيل المثال : استطاع التقديم العلمي والتقني الحديث أن يحول شهر رمضان (شهر الصوم والعبادة والقرآن) وعيد الفطر خاصة من مناسبة دينية إلى مناسبة استهلاكية.
- ٤- التحدي الخطير الذي تواجهه الشريعة الإسلامية من القوى المحلية العلمانية التي تتلقى الحماية الدولية المعنوية والمادية باسم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، ولقد انتشرت الجمعيات الأهلية المدعومة غربياً، التي تقوم بمحاربة الهوية الثقافية الإسلامية، وإثارة الشبه والشكوك حول النظم والتشريعات الإسلامية ، وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين المرأة والرجل وقضايا المرأة المسلمة، وتطالب بعضها جهاراً نهاراً بالحكومات والمجالس البرلمانية إصدار القوانين وفق مواثيق الأمم المتحدة المتعلقة بحقوق الإنسان بعيداً عن النظم والتشريعات الإسلامية.

## خامساً : الأهداف والآثار الاجتماعية والخلفية :

- ١- أنها تركز على حرية الإنسان الفردية إلى أن تصل للمدى الذي يتحرر فيه من كل قيود الأخلاق والدين والأعراف المرعية والوصول به إلى مرحلة العدمية، وفي النهاية يصبح الإنسان أسيراً لكل ما يعرض عليه من الشركات العالمية الكبرى التي تستغله أسوأ استغلال، وتلاحقه به بما تنتجه وتزوج له من سلع استهلاكية أو ترفيهية.
- ٢- تكريس النزعة الأنانية لدى الفرد، وتعميق مفهوم الحرية الشخصية في العلاقة الاجتماعية، وهذا بدوره يؤدي إلى التساهل مع الميول والرغبات الجنسية، وتمرد الإنسان على النظم والأحكام الشرعية التي تنظم حياته الفردية والجماعية.
- ٣- إن ثقافة العولمة مادية بحتة لا مجال فيها للروحانيات أو العواطف النبيلة، أو المشاعر الإنسانية، أنها تهمل العلاقات الاجتماعية القائمة على التعاطف والتكافل والاهتمام بمصالح وحقوق الآخرين ومشاعرهم.
- ٤- فهي تشكل عالماً يجعل من الشح والبخل فضيلة، ويشجع ع الجشع والانتهازية والوصول إلى الأهداف بأي وسيلة دون أدنى التفات إلى القيم الشريفة السائدة في المجتمع.
- ٥- زيادة معدلات نسبة الجريمة ليس في الدول النامية وحده بل في كل الدول الأوروبية الغنية وقد أكد هذا الأمر الكاتبان الألمانيان ( هانسبيتر مارتين و هار الدشومان) بقولهما : " ينتفع مرتكبو الجرائم متعدية الجنسيات أيضاً من إلغاء القيود القانونية المفروضة على الاقتصاد "
- ٦- زيادة معدلات الفقر والبطالة، وتوهين العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، والظلم الاجتماعي الذي يصيب الأسر الفقيرة نتيجة تقليص الدولة للدعم الاجتماعي لهذه الأسر، ستؤدي العولمة إلى تشغيل خمس المجتمع وستستغني عن الأربع أخماس الآخرين نتيجة التقنيات الجديدة المرتبطة بالكمبيوتر، وسيدفع ذلك بأربعة أخماس المجتمع إلى حافة الفقر والجوع.

## إشكال مواجهة العولمة :

- إن المهم عند المسلم ومن وجهة النظر الإسلامية فيما يتعلق بالعولمة هو تحصين الذات من التشويه والذوبان في الآخر، من دون قطيعة مع الآخر، بل مع الاستجابة لجميع دواعي الاتصال.
- ومن جهة أخرى تحصين المصالح من الانتهاك، المصالح الاقتصادية وقضايا السيادة والاستقلال.
- ومع ضمان هذا الأمرين فإن الإسلام يحض على التواصل الحي الفعال مع العالم.
- لا بد من اعتماد مبدأ الاستعصاء على التطويع، ومبدأ تطوير الذات وليس المحافظة على ما نعتبره من الثوابت فقط.
- المطلوب هو تعميق وتفعيل حركة الاجتهاد، وتطوير كل مؤسسات الأمة في أنظمتها كلها، وفي توجهاتها العلمية والثقافية، وفي توجهاتها الاقتصادية في مجالات الصناعة وفي مجالات الزراعة وفي مجالات المال.
- العمل على بناء الأمة وفقاً لنظرة جديدة تحيي أصالتها وحركتها وفعاليتها في مواجهة الأغيار، ومن دون هذا فإنه ليس هناك من أفق يسمح بالوقوف في وجه هذا التيار الوافد.
- إن الموقف الصحيح ليس اخذ صيغ من العولمة، بل إدارة العملية الثقافية والاقتصادية والإعلامية وبالتواصل مع العالم الآخر، بنحو أننا المسلمين والعرب نولد عولمتنا الخاصة.
- أو بعبارة أخرى نولد صيغتنا الخاصة من العولمة على قاعدة الثوابت الإسلامية التي تسم الأمة الإسلامية والأمة العربية.
- في هذه الحالة حينما نأخذ من العولمة السائدة شيئاً لا يبقى بوجه من الوجوه محتفظاً بهويته الأمريكية أو الغربية على وجه العموم. بل يعاد تكوينه من داخله ومن مضمونه ليكتسب الهوية والصيغة التي تناسبنا وتتبع من ذاتيتنا الخاصة.

## الاستعمار

### تعريف الاستعمار

#### لغة :

الاستعمار لفظة محدثة مشتقة من عَمَرَ، واستعمره في المكان أي جعله يعمره، ومنه قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها ﴾ (هود: ٦١).  
- **فالأصل اللغوي** : يفيد معنى طلب التعمير والسعي لتحقيق العمران، لكن الواقع لا علاقة له بالمعنى اللغوي.

#### اصطلاحاً:

**التعريف الأول** : الاستعمار ( أو الكولونيالية من كلمة **colonia** باللغة اللاتينية ) هو مصطلح يشير إلى ظاهرة سياسية، اجتماعية وثقافية تشمل إقامة مستوطنات أوروبية خارج أوروبا منذ القرن الـ ١٥ واستيلاء الدول الأوروبية سياسياً واقتصادياً على مناطق واسعة في جميع القارات الأخرى، بما في ذلك إخضاع الشعوب القاطنة فيها لحكم الدول الأوروبية واستغلال كنوزها الطبيعية وعمل السكان المحليين لصالح الدول الأوروبية.

**التعريف الثاني** : الاستعمار ظاهرة تهدف إلى سيطرة دولة قوية على دولة ضعيفة وبسط نفوذها من أجل استغلال خيراتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهي بالتالي نهب وسلب منظم لثروات البلاد المستعمرة، فضلاً عن تحطيم كرامة شعوب تلك البلاد وتدمير تراثها الحضاري والثقافي، وفرض ثقافة الاستعمار على أنها الثقافة الوحيدة القادرة على نقل البلاد المستعمرة إلى مرحلة الحضارة.

#### أشكال الاستعمار :

تطورت أشكال الاستعمار عبر تطوره التاريخي، ولهذا نجد أشكالاً متعددة لهذه الظاهرة، أهمها:

**الاستعمار القديم** : الاستعمار القديم هو أقدم أنواع الاستعمار ارتبط بالقوة العسكرية من خلال التخريب والسيطرة على الدولة بصورة واضحة وليس بها أي تستر. ومن أمثلته:

**الحماية** : "أن تضع دولة ما أخرى تحت حمايتها وإشرافها وتسلبها من حريتها بقدر ما يتناسب مع قوة هذه الدولة وضعف تلك، وفي الأغلب يكون للدولة المحمية شبه سيادة داخلية يمارسها حكام وطيون تديرهم الدولة المستعمرة من خلف ستار".

ومن أمثلة هذا الشكل للاستعمار ما فعلته فرنسا في تونس حيث وقعتا معا معاهدة حماية في ١٢/٥/١٨٨١م، وفعله الإنجليز في مصر خلال احتلالهم لها بين عام ١٩١٤ - ١٩٢٢م.

**الانتداب** : بعد الحرب العالمية الأولى ظهر شكل جديد من أشكال الاستعمار أقرته عصبة الأمم المتحدة التي تكونت حينذاك كمنظمة أممية لنشر السلام ومنع الحروب، فقد كرست عصبة الأمم نوعاً جديداً من الاستعمار وهو "الانتداب"، حيث ورد إجازته في المادة ٢٢ لميثاق عصبة الأمم التي اعتبرته طريقة للنهوض بالشعوب القاصرة والأخذ بيد هذه الأمم لتكون قادرة على تسيير أمورها، لكنه في الحقيقة كان مظهراً للاستعمار ووسيلة لامتصاص خيرات الشعوب.

**الاستعمار التام أو الاستيطاني** : وفيما عدا هذين الوجهين أسفر الاستعمار عن وجهه الكالح، فأعلن عن ضمه "لبعض الدول إلى مستعمراته" كما فعلت فرنسا بالجزائر.

## الطبيعة السياسية للاستعمار القديم في مناطق نفوذه :

- استخدام أساليب قمعية في إخضاع المستعمرات لسيطرتها مثل القتل والتدمير والعقوبات الجماعية.
- الضم وإخضاع المستعمرات لحكمها المباشر، كما حدث عندما ضمت فرنسا الجزائر.
- تهجير السكان الأصليين، وتوطين رعايا الدول الاستعمارية وتقديم كافة التسهيلات لهم، لضمان استمرار تدفقهم إلى المستعمرات وبقائهم فيها .
- إلغاء النظام السياسي ومظاهر الحكم الوطني للمستعمرات، وإدارتها من قبل حكام من الدول الاستعمارية .
- نهب خيرات البلاد من خلال فرض المستعمرين سيطرتهم الاقتصادية عن طريق مصادرة الأراضي والسيطرة الاقتصادية على الموارد، وفرض الضرائب .
- محاربة الثقافة الوطنية والقومية، وفرض ثقافة المستعمرين من خلال محاربة الدين الإسلامي .
- التمييز والفرقة العنصرية بين السكان الأصليين مثل قانون الظهير البربري.
- إهمال الشؤون الصحية، مما أدى إلى تفشي الأمراض التي فتكت بالسكان .
- إهمال شؤون العمل ، وحرمان العمال من التشريعات العمالية ، ومنعهم من تأسيس النقابات، ومصادرة حقوقهم .

## الآثار الناتجة عن السياسة الاستعمارية :

- ١ - تجزئة المناطق المستعمرة إلى كيانات سياسية متعددة مثل تجزئة الوطن العربي .
- ٢ - القضاء على الوحدة السياسية.
- ٣ - تدهور الأوضاع الاقتصادية من خلال قيام الدول الاستعمارية بجعل مناطق النفوذ الاستعماري أسواقا لمنتجاتها.
- ٤ - استنزاف مواردها وخاصة النفطية منها ، مما أدى إلى تبعيتها اقتصاديا .
- ٥ - بروز ظاهرة النعرات الطائفية والمذهبية في مناطق النفوذ الاستعماري كما في لبنان.
- ٦ - التخلف العلمي والتكنولوجي لمناطق النفوذ الاستعماري نتيجة إهمالها التعليم، مما يبقي على استمرارية ضعفها .

## الاستعمار الاستيطاني :

- وجود غرباء وسط سكان البلاد الأصليين، يشعرون بالنقاء والتفوق، ويمارسون إزاء السكان الأصليين شتى أنواع التمييز، وينكرون وجودهم القومي.
- ويتمثل في إنشاء مستعمرات، أي محطات تجارية أو تجمعات سكانية مأهولة بمواطني دولة معينة خارج أراضي هذه الدولة، واستخدام هذه المستعمرات لتعزيز تأثير هذه الدولة على المحليين أو لتثبيت سيطرتها على الطرق، المعابر، المواقع الإستراتيجية، الأراضي الخصبة أو المناجم.
- شاع هذا النوع من الاستعمار منذ القرن الـ١٦ وحتى منتصف القرن الـ٢٠. في الكثير من الأحيان تطور فرق ثقافي وسياسي بين سكان المستعمرات وبلدانهم الأصلية، مما أدى إلى انفصالهم عن دول الأم وإنشاء دول جديدة.
- و أبرز نموذج للاستعمار الاستيطاني هو الاستعمار الصهيوني لفلسطين . والاستعمار الأوروبي للعالم الجديد في الأمريكيتين (العالم الجديد) وأستراليا. فقد تم نقل سكان من أوروبا إلى المناطق المكتشفة في العالم والخالية من الحضارة الأوروبية، كأميركا وأستراليا وفلسطين الاستعماري الاستيطاني في هذه المناطق.
- حصل المستوطنون على الأرض وأبادوا أو عزلوا سكانها الأصليين. وتنبثق الطبيعة العنصرية للاستعمار الاستيطاني من إيمان المستوطنين بتفوقهم الحضاري واحتقارهم للسكان الأصليين، وشعورهم بالتفوق عليهم وتمدينهم بالقوة.

- ركّز المستوطنون على احتلال الأرض من السكان الأصليين واستعمارها وجعلها خالية منهم، وترحيل السكان الأصليين خارج الحدود إلى الدول المجاورة.

- فالمستوطنون غرباء جاؤوا من وراء البحار واستقروا في أراض ليست لهم وهدفهم زيادة الهجرة وزيادة الأراضي المغتصبة وكسر إرادة السكان الأصليين بالقوة والإرهاب والإبادة والعنصرية. ويعمل الكيان الاستيطاني على تشجيع الهجرة، هجرة البيض، وازدواجية الجنسية، بينما تشجع الصهيونية هجرة اليهود فقط.

- وبتوافق تشجيع الهجرة مع عملية تهجير (ترحيل) السكان الأصليين وحصر ملكية الأرض بالأوروبيين وباليهود، فملكية الأرض تنتقل من السكان الأصليين إلى المستوطنين ولا يمكن أن تنتقل من يهودي إلى عربي على الإطلاق.

- وتتجلى عنصرية المستوطنين وإغراقهم في التمييز العنصري والإبادة باستخفافهم بحقوق وحياة وكرامة السكان الأصليين، فارتكاب المجازر حدث طبيعي في سلوكهم وممارساتهم وثبت بجلاء التحالف الاستراتيجي بين أنظمة الاستعمار الاستيطاني والدول الاستعمارية.

- توافقت بعض حالات الاستعمار الاستيطاني الأولى مع بدء عهد الاكتشافات الجغرافية. ويستمد الاستعمار الاستيطاني وجوده من مرحلة التوسع الاستعماري التقليدي التي أعقبت الاكتشافات الجغرافية.

- قام على أسس عنصرية تنطلق من تفوق الحضارة الأوروبية والرجل الأبيض. واعتبر العنصريون الأوروبيون من أمثال اللورد آرثر بلفور أن الاستعمار الاستيطاني هو حق للرجل الأبيض في نقل الحضارة للشعوب المتخلفة، وذلك باحتلال بلدانهم، "ولو كان ثمن ذلك القضاء على السكان الأصليين".

- واعتبروا أن رسالة الرجل الأبيض هي تطوير الشعوب المتأخرة.

- وتحتل عملية الاستيلاء على الأرض مكان الصدارة في الصراع بين المستوطنين وسكان البلاد الأصليين، تماماً كما فعلت فرنسا في الجزائر والنظام العنصري السابق في جنوب أفريقيا وروديسيا.

- واعتبروا أن رسالة الرجل الأبيض هي تطوير الشعوب المتأخرة.

- وتحتل عملية الاستيلاء على الأرض مكان الصدارة في الصراع بين المستوطنين وسكان البلاد الأصليين، تماماً كما فعلت فرنسا في الجزائر والنظام العنصري السابق في جنوب أفريقيا وروديسيا.

- وأنظمة الاستعمار الاستيطاني بحكم نشأتها الاستعمارية، وطبيعتها العنصرية، وممارساتها الوحشية تنتهك أحكام ومبادئ القانون الدولي وأهم العهود والمواثيق والاتفاقات الدولية، وتخالف قرارات الأمم المتحدة ولا تلتزم بتنفيذها، وبشكل خاص قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في عام ١٩٦٠ حول "منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة وتصفية الاستعمار".

### الاستعمار الجديد (الاستغلالي أو الإمبريالية) :

- ولى عهد الاستعمار القديم، وبدأ عصر «الاعتماد المتبادل»، وترابط مصالح دول العالم. ولكن بدأ، منذ الستينات من القرن العشرين، استعمار من نوع آخر، عرف بـ«الاستعمار الجديد». الذي بات امتداداً لسلفه، سيئ الذكر، «الاستعمار القديم». بل ثبت أن الاستعمار الجديد أسوأ -كثيراً- من سابقه، بالنسبة لمن ينزل بهم.

- وهو أسلوب السيطرة غير المباشرة على دول معينة بأدوات اقتصادية أو ثقافية أو سياسية، مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها مبتعداً عن أساليب الاستعمار التقليدية واستخدام وسائل خاصة في تحقيق أغراضه .

- يعرف «الاستعمار الجديد» (Neocolonialism)، أو «الإمبريالية» (Imperialism) كما يشير البعض إليه، بأنه: سيطرة دولة أقوى (نسبياً) على بلد وسكانه، وإخضاع مقدرات ذلك البلد لإرادة القوة (الأجنبية) واستغلال إمكانياتها المختلفة، لصالح الدول المهيمنة. وبعض الكتاب يرى أن «الإمبريالية» تعتبر استعماراً غير مباشر... أو استعماراً مخففاً... لأن «الإمبريالية» تعني: فرض الهيمنة الاقتصادية – بصفة رئيسية، مع فرض السيطرة السياسية غير المباشرة.

### الوسائل التي استخدمها الاستعمار الجديد لتحقيق أغراضه :

- ١ - عقد الاتفاقيات غير المتكافئة التي تكفل المصالح الاستعمارية في تلك الدول .
- ٢ - ربط الدول النامية بشروط تحد من حريتها.
- ٣ - استغلال المشاكل الاقتصادية والإدارية للدول الحديثة الاستقلال .
- ٤ - إقامة قواعد عسكرية .
- ٥ - إثارة الاضطرابات الداخلية، والانقسامات الطائفية والإقليمية والوطنية .

### مظاهر النزعة الاستعمارية الجديدة :

- ١ - نمو المؤسسات الرأسمالية الاحتكارية في مجالات مختلفة، لاستغلال مصادر الموارد الأولية، وبخاصة اللازمة لصناعة الحديد والفحم، وامتلاك رصيد كبير من الذهب.
- ٢ - تحول المصارف المالية إلى مؤسسات احتكارية للرأسمالية وانتشارها في أماكن مختلفة من العالم.
- ٣ - تصدير رؤوس الأموال إلى الخارج، لتسهيل التغلغل السياسي والعسكري والاقتصادي، وتكبير إرادة الشعوب الضعيفة .

### النتائج التي ترتبت على مظاهر النزعة الاستعمارية :

- ١ - السيطرة على بلاد معينة والتوسع من خلالها على حساب أراضي بلاد أخرى.
- ٢ - إيجاد أساليب للتعامل مع أبناء المنطقة المستعمرة على أسس غير متكافئة .
- ٣ - ظهور التنافس بين الدول الاستعمارية بغرض الحصول على أكبر قدر من المستعمرات.
- ٤ - الوصول إلى اتفاقات لتقسيم مناطق النفوذ العالمي ، مثل اتفاقي سايكس بيكو ١٩١٦، وسان ريمو ١٩٢٠م.

### ظروف نشأة الاستعمار :

- ١ - انعكاسات النهضة الأوروبية والانقلاب الصناعي .
- ٢ - الكشوف الجغرافية حيث ساهمت التطورات العلمية في انتشار فضول علمي .
- ٣ - الصراع الحضاري بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي .
- ٤ - تراجع الدور الريادي للعالم الإسلامي .

### أسباب الاستعمار :

#### أسباب اقتصادية :

- ١ . الحاجة إلى الموارد الأولية خارج أوروبا .
- ٢ . استثمار رؤوس الأموال .

#### أسباب دينية و حضارية :

- ١ . ادعاء نشر الحضارة الأوروبية.
- ٢ . توظيف التنصير لنشر المسيحية.

## أسباب سياسية :

١. البحث عن الأمجاد القومية.
٢. ظهور الزعماء المعاصرين وسعيهم إلى تحقيق أمجاد شخصية مثل بونايرت وبسمارك.

## أسباب بشرية :

١. التخلص من فائض السكان.
٢. إبعاد كل العناصر الغير مرغوب فيها.

## أهداف الاستعمار و ذرائعه :

### أ. الأهداف السياسية :

- تحسين مركز الدولة الاستعمارية في التنافس على المراكز المتقدمة على سلم القوى الدولي، إذ إن تحسن المركز الدولي للدولة يوسع دائرة نفوذها في المجتمع الدولي، ويجعلها أكثر قدرة على التحكم في القرارات الدولية وتوجيهها لصالحها، ويمكن اعتبار مؤتمر برلين عام ١٨٨٤ مؤشراً على ذلك، فقد عقد هذا المؤتمر بسبب الصراع بين الدول الاستعمارية على مناطق النفوذ.
- أدى نمو الروح القومية في أوروبا، وقيام دول حديثة ذات سلطة مركزية، تختلف إلى حد كبير عن ملكيات أوروبا في العصور الوسطى، إلى اتجاه هذه الدول الحديثة إلى توسيع أملاكها داخل أوروبا أو خارجها، إرضاء لحب السيطرة والاستحواذ وتكوين الإمبراطوريات الاستعمارية فيما وراء البحار.
- كذلك كان للوضع السياسي والحربي في أوروبا دوراً لا بأس به في دفع حركة الاستعمار إلى خارج أوروبا، فالتطاحن بين كل من إنجلترا وفرنسا - على سبيل المثال - في أواخر القرن الثامن عشر، والقرن التاسع عشر، كان له دور فعال في حركة الدولتين الاستعمارية خارج أوروبا بصفة عامة وحول آسيا بصفة خاصة.
- تفتيت العالم الإسلامي وكسر وحدته والقضاء على قواه سواء الخلافة العثمانية في القرن التاسع عشر أو القوى الإسلامية الناهضة في القرن العشرين. وصد ما يسمى الخطر الإسلامي.

### ب- الأهداف الاقتصادية :

- الحصول على المواد الخام : أدت الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر إلى حاجة الدول الأوروبية إلى المواد الخام التي اعتمدت عليها الصناعات الجديدة.
- أما في القرن الماضي، فإن التنافس الأوروبي على النفط في المناطق العربية. الذي بدأت تتضح ملامحه في الثلاثينيات بشكل واضح، فقد اندفعت الشركات البريطانية والأميركية والهولندية والفرنسية تتنافس في الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في هذه المناطق.
- إيجاد الأسواق لتصريف إنتاجها : ولدت الثورة الصناعية حركة تصنيع واسعة، فانتشرت المصانع الكبيرة في الدول الاستعمارية، وزاد إنتاجها عن حاجة أسواقها، فبدأت تبحث عن أسواق جديدة لتصريف منتجاتها، وكان الاستعمار هو الوسيلة التي تضمن للدول المستعمرة السيطرة على الأسواق الخارجية مع الدول المستعمرة.
- الحصول على الأيدي العاملة الرخيصة : عملت الدول الاستعمارية لنقل الملايين من الأفراد من المناطق التي استعمرتها إلى مناطق أخرى، من أجل تشغيلهم بأجور زهيدة أو التجارة بهم بوصفهم رقيقاً.
- أما في الوقت الحاضر، فإن كثيراً من اقتصادي الدول النامية يشيرون إلى نقل الدول الصناعية بعض مصانعها إلى الدول النامية، للاستفادة من رخص الأيدي العاملة في هذه الدول.

- **تأمين طرق المواصلات** : تلجأ كثير من الدول إلى استعمار مناطق جديدة لتأمين طرق المواصلات إلى مستعمراتها في المناطق المختلفة، من أجل حماية ممتلكاتها والمحافظة على مصالحها الحيوية، واستخدامها محطات تجارية.

### ج- الأهداف الثقافية :

- ويتلخص الهدف الثقافي للدولة الاستعمارية في إعادة تشكيل المنظومة الثقافية لمجتمع المستعمرات، لجعله أكثر ارتباطاً بالدولة المستعمرة.
- عند إلقاء نظرة على الخريطة اللغوية للعالم، نجد أن لغة المستعمر تحل مكان اللغة المحلية في البلدان المستعمرة؛ فأغلب المستعمرات الإسبانية في أميركا اللاتينية تستخدم اللغة الأسبانية لغة رسمية، وتعد الإنجليزية اللغة الرسمية لعدد من المستعمرات البريطانية مثل : الهند ونيجيرويا و جنوب إفريقيا، كما تعد الفرنسية اللغة الرسمية في المستعمرات الفرنسية مثل تشاد ومالي والسنغال، وتعد اللغة البرتغالية لغة موزنبيق الرسمية بوصفها مستعمرة برتغالية سابقة.
- وإذا طبقنا ذلك على اللغة الثانية في عدد من الدول، فسنجد أنها لغة المستعمر، كما هو حال الإنجليزية في العراق ومصر والأردن، والفرنسية في دول المغرب العربي، وهو أمر ينسجم مع ما قاله العالم تريتشكا من : أن اللغة هي أساس التجارة المزدهرة، إذ إن الأمة لا تفقد مستعمراتها المرتبطة بها باللغة والثقافة حتى لو انقطعت الرابطة السياسية.
- تمكين الثقافة واللغات الأوروبية لدى شعوب المستعمرات.
- محاربة وتشويه اللغات والثقافات المحلية.

### د- الأهداف الدينية :

- نشر المسيحية : ارتبط عدد من الحملات الاستعمارية بوجود بعثات وإرساليات تبشيرية دينية، وقد نجح عدد منها في تنصير قطاعات من سكان المستعمرات، وكان أبرز حالات النجاح في هذا المجال في الدول الإفريقية مثل جنوب السودان وجنوب نيجيريا.
- ولم تتوقف العلاقة بين حركتي التبشير والاستعمار عند نقطة المصالح المشتركة بل إننا نجد أن الأخلاقيات السيئة للاستعمار من قتل وبطش قد حصلت بمباركة وأحياناً بمشاركة رجال الكنيسة.
- كما أن النظرة الاستعمارية الفوقية للشعوب المستعمرة هو أمر آخر تأثرت به حركة التبشير، وفي ذلك يقول ستيفن نيل : "في القرن التاسع عشر خضع المبشرون إلى العقد الاستعمارية التي تقول بأن الرجل الغربي فقط هو الإنسان بكل ما تعنيه هذه الكلمة" ...
- محاربة الإسلام : وقد كان محاربة الإسلام هدفاً أصيلاً للمستعمر، ومن صورته ما ذكره الكاتبان الفرنسيان كولي/ت وفرانيسيس جانسون فقالا : " لعل العيب بالدين الإسلامي كان هو المجال المفضل لدى القائد الفرنسي في (الجزائر) روفيجو، فقد وقف هذا القائد الفاجر، ونادى في قومه : إنه يلزمه أجمل مسجد في المدينة ليجعل منه معبداً لإله المسيحيين، وطلب إلى أعوانه إعداد ذلك في أقصر وقت ممكن " ثم أشار إلى جامع كنتشاوة، فحولوه إلى كنيسة بعد شلالات من الدم، وسمي "كاتدرائية الجزائر".
- ومن أعمال المستعمر أيضاً إيجاده للفرق الضالة ورعايته لها، فالقاديانية والبهائية نشأتا في ظل الاستعمار ولتحقيق أهدافه، فقد نشأت القاديانية في الهند إبان الاستعمار الإنجليزي ١٩٠١م،
- وعلى هذا المنوال نسج المستعمرون في كل بلد نزلوا فيه، فآثروا الفتن الداخلية والدعوات الشعبية أو القبلية أو المذهبية بغية تمزيق الأمة وإضعاف وحدة الشعوب المغلوبة لتحقيق أكبر المكاسب الممكنة.

## الإرهاب

### مفهوم الإرهاب و معناه :

- تشتق كلمة "إرهاب" من الفعل المزيد (أرهب)؛ ويقال أرهب فلاناً : أي خوّفه وفزّعه، وهو المعنى نفسه الذي يدل عليه الفعل المضعف (رَهَبَ). أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو (رَهَبَ)، يَرَهَبُ رَهْبَةً وَرَهَبًا وَرَهَبًا فَيَعْنِي خَافَ، فيقال : رَهَبَ الشَّيْءُ رَهْبًا وَرَهْبَةً أَي خَافَهُ. والرهبه : الخوف والفرع.

- و"الإرهاب" هو رعب تحدّثه أعمال عنف كالقتل وإلقاء المتفجرات أو التخريب، و"الإرهابي" هو مَنْ يلجأ إلى الإرهاب بالقتل أو إلقاء المتفجرات أو التخريب لإقامة سلطة أو تقويض أخرى .

- وتجدر الإشارة إلى أن المعجمات العربية القديمة قد خلّت من كلمتي "الإرهاب" و"الإرهابي" لأنهما من الكلمات حديثة الاستعمال.

### دلالات مصطلح الإرهاب في القرآن الكريم :

- إن مصطلح الإرهاب جاء في القرآن الكريم في دلالات مختلفة لا صلة لها ألبتة بالمفهوم الغربي - يقول تعالى: ( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ).

- وإذا تأملنا جيداً معنى الإرهاب في الآية نجده يرمي إلى معنى "الردع" فيكون معنى ( تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ ) أي تعدون من القوة ما يجعله يخاف من الحرب فيرتدع عن ممارسة العنف الذي قد يدفعكم إلى العنف المضاد.

- إنها نوع من المقاومة القبلية أو الدفاع عن النفس والدين عن طريق الوقاية من الاضطراب إلى الرد على العنف بالعنف المضاد على أساس أنه رد طبيعي وتلقائي ومشروع ضد العنف المراد إنشاؤه وتوجيهه ضد المسلمين.

- أما اليوم فهناك من ( يؤصل ) للإرهاب الجاري بقول الله تعالى : ( تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ) وهذا بدون شك ضلال عن المنهج القويم : منهج فهم الآية في سياقها الصحيح، فهناك نزع للآية من سياقها المنهجي والاستشهاد بها لتسويغ الإرهاب الفاجر على أساس أن القرآن الكريم يدعو إلى العنف والإرهاب.

- وإذا كان معنى الإرهاب وفق المفهوم الغربي ينطوي على عدد من الوقائع والدلالات المغمسة بالتطرف والعنف ونشر الذعر والقتل والسفك في سبيل نشر فكر سياسي أو ديني، فإن المعاجم العربية لا تعترف بهذا المعنى الذي اختير ليكون ترجمة مجحفة ومربكة.

- ويلحظ أن القرآن الكريم لم يستعمل مصطلح "الإرهاب" بهذه الصيغة وإنما اقتصر على استعمال صيغ مختلفة الاشتقاق من المادة اللغوية نفسها، بعضها يدل على الإرهاب والخوف والفرع، وبعضها الآخر يدل على الرهبة والتعبد.

- وهكذا وردت مشتقات المادة ( رهب ) سبع مرات في مواضع مختلفة في الذكر الحكيم لتدل على معنى الخوف و الفرع كما يأتي :

يرهبون : ( وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ) .

فارهبون : ( وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ) .

( إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ ) .

ترهبون : ( تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِيْنَ مِنْ دُونِهِمْ ) .

- استرهبوهم : ( وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِخْرٍ عَظِيمٍ ) .
- رهبة : ( لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ) .
- رهبا : ( وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ) .

- ووردت مشتقات المادة نفسها ( رهب ) خمس مرات في مواضع مختلفة لتدل على الرهبة والتعبد ( رهبان - رهبانهم - رهبانية ) .
- بينما لم ترد مشتقات مادة ( رهب ) كثيراً في الحديث النبوي .
- ولعل أشهر ما ورد هو لفظ ( رهبة ) في بعض الأحاديث النبوية منها حديث الدعاء ( وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك ) . ( البخاري في كتاب التوحيد وكتاب الدعوات ) .
- ومما يلحظ أيضاً أن القرآن الكريم والحديث النبوي قد اشتملا على بعض المفاهيم التي تتضمن معاني ودلالات الإرهاب والعنف بمعنى استخدام القوة أو التهديد لتحقيق أهداف معينة،  
**ومن أهمها : القتل والبغي والحراية والعدوان .**

### المفاهيم المرتبطة بالإرهاب :

#### العنف

- العنف مفهوم سلبي يرمي إلى انتزاع المطالب بالقوة وإكراه الآخر على التنازل عنها أو الاعتراف بها بوسائط يتكبد خسائر من جراء استعمالها .
- وهو أسلوب مرفوض في الأديان والقيم الإنسانية والحضارية، لأنه يحول القوة الفكرية والمادية والمعنوية والروحية من طاقة ضرورية للإنسان لبناء ذاته ومجتمعه وحضارته إلى طاقة تدميرية وقوة سلبية .
- **ولا بد من التمييز بين نوعين من العنف :** العنف المادي والعنف الرمزي .
- فالأول يلحق الضرر بالبدن أو الحقوق، أو المصالح أو الأمن وغير ذلك .
- أما العنف الرمزي فيلحق ذلك الضرر على المستوى النفسي بأن يكون في الشعور الذاتي بالأمن والطمأنينة والكرامة والاعتبار والتوازن... الخ

وإذا كان مصطلح "العنف" لا ورود له في القرآن فإننا في المقابل نجد أن بعض الأحاديث النبوية تتحدث عن هذا المصطلح في سياق الدعوة إلى نبذ والتحذير منه،  
ففي الحديث : « **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْنِي مَعْنَفًا** »  
وفي الحديث أيضاً : « **إِنَّ اللَّهَ يَعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يَعْطِي عَلَى الْعَنْفِ** »

#### التطرف

- التطرف في اللغة معناه الوقوف في الطرف بعيداً عن الوسط، وأصله في الحسيات كالتطرف في الجلوس أو الوقوف أو المشي، ثم انتقل إلى المعنويات كالتطرف في الدين أو الفكر أو السلوك .
- إن التطرف في جميع الأحوال ظاهرة مرضية تعبر عن حالة غضب واحتقان، وهو مؤشر على وجود خلل ما في النفس الإنسانية أو في الظروف التي تحيط بتلك النفس .
- وإذا كان مصطلح التطرف لم يرد لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، فقد وردت مصطلحات مرادفة له ( **الغلو والتنتع والتشديد والتعسير** ) تحمل الدلالة نفسها، ويظهر أن مصطلح "الغلو" هو أكثر تلك المصطلحات تعبيراً عن معنى التطرف كما أنه أكثر وروداً في النصوص الشرعية وخاصة في السنة النبوية .
- ولما كان التطرف بعيداً عن الوسط ونقيضاً له، فإن القرآن الكريم نص على خاصية الوسطية لكونها أبرز المعالم الأساسية التي ميز الله تعالى بها أمة الإسلام عن غيرها، قال تعالى : ( **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ) البقرة، ١٤٣

- إن القرآن الكريم والسنة النبوية تحدثا عن التطرف ضمن مصطلحات و عناوين مختلفة منها : التنطع والتشديد والتعسير والغلو في الدين وغيرها

- وقد جاء في صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هلك المنتطعون » (مسلم) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات. قال تعالى : ( وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ) ». (البخاري) وفي حديث أبي هريرة في صحيح البخاري : « لن يشاد الدين أحد إلا غلبه » (البخاري)

- قال تعالى : ( يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ )

- وجاءت الوصية النبوية العامة موجّهة نحو التسديد والمقاربة وعدم مغالبة الدين فقال صلى الله عليه وسلم : « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وابشروا » (البخاري). أي الزموا السداد وهو الصواب بلا إفراط ولا تفريط وإذا لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه.

وقد جاء في النهي عن الغلو حديث ابن عباس (ضمنا) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين » (النسائي)

والمراد بمن قبلنا أهل الأديان السابقة وخاصة أهل الكتاب وعلى الأخص النصارى وقد خاطبهم القرآن بقوله : ( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ )، وقوله تعالى : ( يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ).

### الإرهاب في اللغات الأخرى :

- ولا يختلف هذا المعنى عما تقرره اللغات الأخرى في هذا الصدد، فقد ورد في قاموس " المورد "

أن كلمة terror تعني : "رعب، دُعر، هول، كل ما يوقع الرعب في النفوس، إرهاب، عهد إرهاب"، والاسم terrorism يعني : "إرهاب، دعر ناشئ عن الإرهاب"، و terrorist تعني : "الإرهابي"، والفعل terrorize يعني : "يُرهب، يُرّوع، يُكرهه (على أمرٍ) بالإرهاب".

- وفي قاموس أكسفورد " Oxford Dictionary " :

نجد أن كلمة Terrorist "الإرهابي" هو الشخص الذي يستعمل العنف المنظم لضمان نهاية سياسية، والاسم Terrorism بمعنى "الإرهاب" يُقصد به "استخدام العنف والتخويف أو الإرعاب، وبخاصة في أغراض سياسية"

### الاختلاف حول مفهوم "الإرهاب" و تعريفه :

- أدى اختلاف الدول في نظرتها إلى الإرهاب من حيث مفهومه ومعناه، إلى صعوبة اتفاقها على المستوى الدولي بشأن التعاون لمكافحة هذه الظاهرة.

- ويمكن تجسيد هذا الاختلاف في العبارة المختصرة التي تقول : "إن الإرهابي في نظر البعض، هو محارب من أجل الحرية في نظر الآخرين".

- وأدى ذلك إلى فشل أغلب الجهود الدولية في الوصول إلى تحديد دقيق لحقيقة الإرهاب، مما حال دون الاتفاق على درجة من التعاون الدولي لمكافحة الإرهاب، لدرجة أن المؤتمر الدولي الذي عقد في عام ١٩٧٣م لبحث الإرهاب والجريمة السياسية قد انتهى إلى أن عدم وجود مفهوم واضح للأسباب التي تؤدي إلى ممارسة النشاطات التي تنشئ حالة الإرهاب هو العقبة التي تحول دون اقتلاع الإرهاب واجتثاث جذوره.

- ويختلف الوصف الذي يطلقه رجال الإعلام على أعضاء المنظمات الإرهابية باختلاف الموقف السياسي الذي يتخذونه تجاههم، ومن ثم استخدمت أوصاف مختلفة عند الإشارة إليهم، فهم إما إرهابيون أو مخربون أو عصاه أو منشقون أو مجرمون، وإما جنود تحرير أو محاربون من أجل الحرية أو مناضلون أو رجال حركة شعبية أو ثورية وأحياناً يوصفون بأنهم خصوم أو معارضون للحكم أو "راديكاليون" ( متطرفون : Radicals ).

- وتوصف عملياتهم في نظر بعض الكتاب بأنها عمليات إرهابية أو أفعال إجرامية دنيئة وغادرة، وفي نظر بعضهم الآخر تعد عمليات فدائية أو عمليات مقاومة أو تحرير.

- لقد كان الإرهاب ظاهرة متميزة من مظاهر الاضطراب السياسي في القرون السابقة، ولم تخل منه أمة من الأمم أو شعب من الشعوب عبر التاريخ. ومن المؤسف أن يحاول بعض المغرضين الربط بين الإرهاب وحضارة الأمة الإسلامية متمثلة في دينها وقوميتها، أو بين الإرهاب والإسلام، فإن ظاهرة الإرهاب لا تقتصر على دين أو على ثقافة أو على هوية معينة، وإنما هي ظاهرة شاملة وعامة.

- وتجدر الإشارة إلى أن تعبير "الإرهاب" هو من ابتداء الثورة الفرنسية، ولم يتبلور الإرهاب واقعياً إلا في عام ١٧٩٣م، وكان ذلك عندما أعلن روبسبير (Robespierre) بداية عهد الإرهاب أو الرهبة " Reign of Terror في فرنسا (١٠ مارس ١٧٩٣م - ٢٧ يوليو ١٧٩٤م).

- ومن اسم هذا العهد اشتقت اللغتان الإنجليزية والفرنسية كلمة (Terrorism) بالإنجليزية و (Terrorisme) بالفرنسية، بمعنى "الإرهاب".

- وقد حاولت المنظمات الدولية كالأمم المتحدة تحديد مفهوم الفعل الإرهابي من منطلق أن "الإرهاب" هو شكل من أشكال العنف المنظم، بحيث أصبح هناك اتفاق عالمي على كثير من صور الأعمال الإرهابية مثل الاغتيال والتعذيب واختطاف الرهائن واحتجازهم وبت القنابل والعبوات المتفجرة واختطاف وسائل النقل كالسيارات والأتوبيسات والطائرات أو تفجيرها، وتلغيم الرسائل وإرسالها إلى الأهداف التي خطط الإرهابيون للإضرار بها... الخ.

- والإرهاب هو أداة أو وسيلة لتحقيق أهداف سياسية، سواء كانت المواجهة داخلية، بين السلطة السياسية وجماعات معارضة لها، أو كانت المواجهة خارجية بين الدول. فالإرهاب هو نمط من أنماط استخدام القوة في الصراع السياسي، حيث تستهدف العمليات الإرهابية القرار السياسي، وذلك بإرغام دولة أو جماعة سياسية على اتخاذ قرار أو تعديله أو تحريره، مما يؤثر في حرية القرار السياسي لدى الخصوم.

- والإرهاب هو باختصار عبارة عن العمليات المادية أو المعنوية التي تحوي نوعاً من القهر للآخرين، بغية تحقيق غاية معينة.

- **تعريف (وكالة الاستخبارات الأمريكية (C.I.A) في عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) :** "الإرهاب هو التهديد باستعمال العنف أو استعمال العنف لأغراض سياسية من قبل أفراد أو جماعات، سواء تعمل لصالح سلطة حكومية قائمة أو تعمل ضدها"

- **لجنة الخبراء العرب :** "الإرهاب" هو فعل منظم من أفعال العنف أو التهديد به يسبب فزعاً أو رعباً من خلال أعمال القتل أو الاغتيال أو حجز الرهائن أو اختطاف الطائرات أو تفجير المرفقات وغيرها مما يخلق حالة من الرعب والفوضى والاضطراب، والذي يستهدف تحقيق أهداف سياسية سواء قامت به دولة أو مجموعة من الأفراد ضد دولة أخرى أو مجموعة أخرى من الأفراد، وذلك في غير حالات الكفاح المسلح الوطني المشروع ..."

### موقف المجمع الفقهي الإسلامي :

- "أن التطرف والعنف والإرهاب ليس من الإسلام في شيء، وأنها أعمال خطيرة لها آثار فاحشة، وفيها اعتداء على الإنسان وظلم له، ومن تأمل مصدري الشريعة الإسلامية، كتاب الله الكريم وسنة نبيه ﷺ فلن يجد فيها شيئاً من معاني التطرف والعنف والإرهاب، الذي يعني الاعتداء على الآخرين دون وجه حق"

- الإرهاب بأنه " ظاهرة عالمية، لا ينسب لدين، ولا يختص بقوم، وهو ناتج عن التطرف الذي لا يكاد يخلو منه مجتمع من المجتمعات المعاصرة.. وهو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحراية، وإخافة السبيل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر".
- وأكد المجمع الفقهي الإسلامي : "أن من أصناف الإرهاب إرهاب الدولة، ومن أوضح صورته وأشدّها بشاعة، الإرهاب الذي يمارسه اليهود في فلسطين، وما مارسه الصرب في كل من البوسنة والهرسك وكوسوفا"، ورأى المجمع هذا النوع من الإرهاب "من أشد أنواعه خطراً على الأمن والسلام في العالم، وجعل مواجهته من قبيل الدفاع عن النفس والجهاد في سبيل الله".

### أسباب الإرهاب ودوافعه وعوامل ظهوره :

- يعد الإرهاب ظاهرة معقدة ومتشابكة تشترك في بروزها في المجتمع جملة من العوامل والأسباب، حيث تتداخل العوامل الشخصية والنفسية مع الثقافية والسياسية والاقتصادية، لتشكل ظاهرة الإرهاب التي تحقق أهدافها بممارسة العنف والقتل، وتحسم خلافاتها بإلغاء الآخر وإقصائه من الوجود.
- وهناك بعض العوامل التي تزيد من حدة التطرف والإرهاب واستمرارهما، منها معاملة التطرف بتطرف مضاد، ومواجهة إرهاب الأفراد والجماعات بإرهاب الحكومة، والاقتصار على الوسائل القمعية دون البحث والتعامل مع جذور المشكلة.

### أ. الأسباب الاقتصادية والاجتماعية :

- تكثيف حركة الهجرة من الريف إلى المدينة، وانتشار الأحياء العشوائية الفقيرة في مدن بعض الدول.
- تقشي البطالة، وخاصة بين الشباب.
- تؤثر الأزمات الاقتصادية في الطبقات الدنيا في المقام الأول، حيث تعاني بشدة من تدهور ظروفها المعيشية بفعل انتشار البطالة وتدهور الخدمات وظهور طبقة من الأثرياء الذين يسلكون سلوكاً استقزانياً بالنسبة للفقراء.
- وتؤدي الأزمات الاقتصادية إلى ازدياد معدل البطالة والتضخم وغلاء الأسعار وبالتالي تزداد حدة التفاوت الطبقي وتنعكس آثار هذا الخلل الخطير على الشباب وتنشأ تربة صالحة للتطرف.

### ب. غياب العدالة الاجتماعية :

- النقص في مصادر الثروة والسلع والخدمات، وعدم العدالة في توزيع الثروة.
- التفاوت في توزيع الدخل والخدمات والمرافق الأساسية كالتعليم والصحة والإسكان والكهرباء بين الحضر والريف.
- تكس الأحياء العشوائية في المدن بفقراء المزارعين النازحين من القرى.
- فضلاً عن زيادة أعداد الخريجين من المدارس والجامعات الذين لا يجدون فرص العمل.
- يؤدي إلى حالة من الإحباط الفردي والسخط الجماعي.

### ج. الظروف السياسية :

- تدني مستوى المشاركة السياسية، وخاصة بالنسبة للشباب ومن مختلف الطبقات، في اتخاذ القرارات التي تمس حياة المواطن بما في ذلك الحياة اليومية سواء داخل الأسرة أو المدرسة أو الحي السكني أو العمل أو عن طريق العضوية الفعالة والنشيط في التنظيمات الشعبية والرسمية.
- إن العجز عن الحوار مع جيل الشباب وعدم إفساح المجال له كي يعبر عن نفسه ويخدم بلاده، يجعل الكثير من الشباب ضحية هذا العنف المؤسسي، فتتمو في أوساطهم ظاهرة التطرف الديني.
- ومن الملحوظ أن هذا العنف المؤسسي يشتد مع تعثر هذه النظم في تحقيق أهدافها المعلنة في التنمية الاقتصادية والتعددية السياسية، كما يقوى مع وقوعها في أسر التبعية والديون بفعل سياسات دول الهيمنة العالمية.

## د. أزمة التعليم ومؤسساته :

- اعتماد نظم التعليم على التلقين والتكرار والحفظ، وعلى حشو ذهن الطالب طوال مختلف المراحل الدراسية بمعلومات، دون إعمال للعقل ودون تحليل أو نقد.
- ومثل هذه النظم تفرز طالباً يتقبل بسهولة كل ما تمليه عليه سلطة المعلم دون نقاش، وبذلك يصبح من السهل جداً على مثل هذا الطالب أن يتقبل كل ما يملى عليه الجماعة دون تحليل أو نقد أو معارضة.
- ويكون عرضة للانخراط في أية جماعة أياً كان توجهها، حيث يتم تلقين الفكر وتقبله دون تحليل، ويسهل الانقياد بفعل إبطال عمل العقل.
- كما تعتمد كثير من مناهج التعليم على الخلط بين المناهج والرؤى الفلسفية والفكرية، مما يؤدي إلى وجود اضطراب في البناء العلمي والفكري للأجيال، ويسهل بعد ذلك تبنيها لكل فكرة متطرفة أو غيرها.

## هـ. الفراغ الفكري والفهم الخاطئ للدين :

- الفهم الخاطئ للدين ومبادئه وأحكامه.
- والإحباط الذي يلقاه الشباب نتيجة افتقارهم إلى المثل العليا التي يؤمنون بها في سلوك المجتمع أو سياسة الحكم.
- والفراغ الديني يعطي الفرصة للجماعات المتطرفة لشغل هذا الفراغ بالأفكار التي يروجون لها ويعتقدونها.
- كما أن غياب الحوار المفتوح من قبل علماء الدين لكل الأفكار المتطرفة، ومناقشة الجوانب التي تؤدي إلى التطرف في الرأي يرسخ الفكر المتطرف لدى الشباب.
- ومن جهة أخرى نرى أن الكثير من دعاة العنف والتطرف والتزمت يفتقدون منهجية الحوار، ويرفضون الدخول في محاوره الآخرين حول معتقداتهم وأفكارهم مما يدفعهم إلى العمل السري.
- استنزاف المشاعر الدينية من خلال تسفيه القيم أو الأخلاق أو المعتقدات أو الشعائر، بالقول أو الفعل.
- واتهام والمراكز التربوية الإسلامية والمدارس القرآنية ومناهج التعليم ومنابر الدعوة كلها بالانحراف.
- والتنفير من الدين وتشويه أهله، وإظهار شيوخ المسلمين وعلماء الإسلام بصورة ساخرة منفردة.
- فإن هذا كله يسبب التطرف والغليان خاصة في نفوس الشباب الذين يقرؤون ويسمعون الاتهامات الكاذبة توجه إليهم وإلى مؤسساتهم، ولا يملكون إلا الاحتقان والانفعال، ولا تتاح لهم فرصة للرد.

## و. سياسات الهيمنة الأجنبية والإرهاب الأمريكي الإسرائيلي :

- من الأسباب الرئيسة في تغذية التطرف والإرهاب الممارسات الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية في فلسطين المحتلة وما جاورها.
- وهي تؤثر بشكل مباشر في ملايين من العرب الواقعين تحت الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين والجولان السورية والاحتلال الأمريكي في العراق، ومن ثم في بقية العرب في مختلف البلاد العربية.
- إن مشاعر الإحباط واليأس عند الكثير من المسلمين وخاصة الشباب وهو يرى كل يوم الإرهاب الأمريكي وتسلطه على العالم الإسلامي دون احترام لأنظمة عالمية، ولا قرارات دولية، ويرى كل يوم الإرهاب الصهيوني وإذلاله وقتله للشعب الفلسطيني دون أن يكون هناك ردود أفعال جادة من الحكومات العربية، كل هذه الأسباب وغيرها هي واقع يعيشه المسلم، في الوقت الذي لا يدري فيه ماذا يفعل، مما يجعله يبحث عن حلول عاجلة وسريعة لتغيير واقع الأمة.

## مسؤولية المثقف تجاه قضايا الإرهاب :

### ١. مسؤولية المثقف تجاه تحديد مصطلح الإرهاب :

إن تحديد المصطلح من قبل الدوائر السياسية والفكرية المؤسساتية المعتبرة يلقي بمسؤولية على المثقف الإسلامي في كشف الزيف والتهويمات في المصطلح الوافد من خلال التاريخ لنشأته والظروف التي ارتبطت بمولده وظهوره والممارسات التي ارتكبت باسمه في التاريخ الغربي الحديث والمعاصر. كما تحمله دوراً رسالياً متسقاً مع أدوار الفقيه والمفكر في تفكيك دلالات مفهوم الإرهاب التي تم التوصل إليه وتبسيطه وشرح معانيه وبنه في الوسط الاجتماعي وبيان الممارسات المنبثقة عنه بلغة تتلاءم وطبيعة المواقف اليومية ومفردات الحياة .

## ٢. المثقف وتشخيص الظاهرة :

عملية التشخيص السليمة لأسباب الإرهاب والتطرف والعنف أحد المهام الأساسية للمثقف. ونظراً لاختلاف عملية التشخيص باختلاف المرجعية وتوجهات المثقف تتنامى مسؤولية الإسلامي في تشخيص أسباب الظاهرة وفق المرجعية الإسلامية التي تعبر عن حركة المجتمع، وتتعدد هذه المسؤوليات لتشمل :

**أ. تاريخياً:** تقع على المثقف الإسلامي مسؤولية دراسة قضايا ظاهرة الإرهاب من حيث الكشف عن العوامل الموضوعية والذاتية التي أفضت إلى ممارسة العنف وخلفياتها الدينية الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تستند إلى التطرف، وبيان المنابع التي لعبت الدور الأساس في تشكيل بؤر الإرهاب وممارساته في دول العالم، كما يتحمل المثقف الإسلامي مسؤولية الكشف عن الأسباب الخاصة والعامة للإرهاب.

**ب. عالمياً:** تقع على المثقف عدة مسؤوليات في تشخيص الظاهرة وتحديد أسبابها تتمثل أهمها فيما يأتي:

- الكشف عن الوهم والحقيقة في تبني قوى الهيمنة في العالم لقضايا الإرهاب مسوغاً لتحقيق خططها وتوسيع نفوذها وإحكام سيطرتها العسكرية والاقتصادية.
- ربط الأحداث السياسية العالمية بقضايا الهوية الثقافية وإبراز مدى حاجة قوى الهيمنة إلى أسباب ثقافية ودينية تسوغ تدخلاتها المزرية في شؤون المجتمعات.
- متابعة التقارير والدراسات والكتابات الصادرة في مجال صراع الحضارات والثقافات، وتقديمها بشكل منظم في دوائر الإعلام بما يكرس الوعي بمحوريتها في السياق العالمي المعاصر.
- تكثيف الكتابة والنشر حول دور اللوبي الصهيوني وأفاعيله الثقافية والسياسية والاقتصادية من خلال دوائر تنتشر حول العالم.

**ج. محلياً:** تقع على المثقف مسؤولية تشخيص الأسباب انطلاقاً من الأرضية الإسلامية لتكون منهجاً في تفسير الأحداث والحضور النقدي الفعال للكشف عن العوامل الذاتية للإرهاب، ويتم ذلك من خلال العديد من الأدوار يعد من أهمها :

- تصحيح الرؤية القاصرة لمفهوم علو الأمة وخيريتها ، ومقاومة الرؤى التي تركز المثالية الذاتية لدينا وتصرفنا عن تشخيص الواقع إلى ماضٍ مجيد أو مستقبل يعد بالتمكين دون الالتفات إلى الشروط المؤدية إليه.
- نقد المكونات المعرفية التي تؤول بالكثير إلى القولية و التنميط والكشف عن الأسباب الكامنة في هذه المكونات والتي يمكن أن توقع البعض في دائرة الغلو أو التطرف.
- تحديد الأسباب الثقافية والتربوية التي تؤدي إلى تدني الاستقلالية في التفكير، وتفعيل روح التبعية لدى النشء، وغياب المسؤولية، وإشاعة التفكير الحدي، وثقافة الخوف والشك والصمت.
- نقد المفهوم الاختزالي للدين الذي أدى إلى ظهور ثقافة دينية تركز على الطقوس والمعايير الشكلية دون الالتفات الكافي إلى ثقافة العمل والممارسة - التي تعبر عما وفر في القلب - والاختزال السلوكي وتجاهل الفكر والمشاعر.
- تحديد مسؤولية العلاقة في بنية مؤسسات التنشئة بين الموجه والمتلقي، والأب والابن، بما يؤثر في روح التواصل والحوار.

## التغريب

### تعريف التغريب ( Westernizatio ) :

يفيد معنى التغريب أمرين :

**الأول :** سيادة النزعة الغربية أو الاحتذاء بـ الغرب (أوروبا والولايات المتحدة)  
**والثاني :** هو الاستلاب أو الاغتراب .

أي خلق هوة بين المرء وواقعه، حين تغلف الذات بمشاعر الغربة والوحشة والانخلاع والانسلاخ، وللانتماء بعد ذلك. ويفيد المعنى الاصطلاحي شعور المرء بأنه مبعّد عن البيئة التي ينتمي إليها، فيصبح منقطعاً عن نفسه، ويصير عبداً لما حوله، يتلقى تأثيره المتمثل في إنجازات الإنسان وموصفاته ونظم حياته، دون فعالية تذكر.

**التغريب** هو تيار فكري ذو أبعاد سياسية اجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة، ودينهم القائد المتفرد، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية.

**التغريب** هو تحويل المجتمعات الإسلامية إلى مجتمعات غربية بجميع عاداتهم وتقاليدهم لينفوا بذلك جذور الإسلام العقائدية في تصرفات المسلمين .

**التغريب** مصطلح يستعمل للدلالة على جهود الغرب في نشر أفكاره، وقيمه، وقوانينه، ونظمه في أقطار العالم الإسلامي. ومقصده محو الهوية الإسلامية.

**كما يطلق التغريب** ع الجهود المبذولة لحمل المجتمع المسلم على تبني الأنماط الغربية في الحياة، ومن أشمل ما قيل في بيان حقيقة التغريب إنه :

- وهو تيار سياسي اجتماعي وفكري يهدف إلى طمس الهوية الإسلامية وصبغ العالم الإسلامي بالصبغة الغربية والقضاء على التميز الإسلامي.

- **وهدف التغريب** هو طبع العرب المسلمين عامة بطابع الحضارة الغربية والثقافة الغربية مما يساعد ع إيجاد روابط الود والتفاهم.

### التغريب و الهيمنة :

- بعد أن فشلت بعض الحملات العسكرية أيام الاستعمار نشأت فكرة التغريب عند ساسة الغرب ومخططيها. وهي أنه ينبغي أن تكون الجيوش الاستعمارية بعيدة عن المواجهات لأنها تثير ردود فعل عنيفة، وأنه ينبغي أن يبذلوا الأسباب لتستسلم الأمة المسلمة للثقافة والحضارة الغربية بنفسها طواعية.

- **وهدفها** تذيب الشخصية المسلمة في الشخصية الغربية بحيث لا ترى إلا بالمنظور الغربي، ولا تعتنق من الأفكار والمناهج إلا ما هو مستورد من الغرب. وتتعد عن قيمها وعقائدها وأخلاقها المستمدة من شريعة الإسلام وتتبنى الرؤية الغربية للحياة والثقافة الغربية ونظم الغرب. ودعاة التغريب يريدون من المسلمين أن يعتمدوا على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه ثم يحاكم الفكر والمجتمع الإسلامي من خلال تلك التصورات والمقاييس بهدف سيادة الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية. ولا يقف مراد الغربيين عن حد قبولنا عقلية الغرب فحسب، بل يتعداه إلى محاولة خلق دائرة فكر تهدم بناء المسلمين وتتنقص فكرهم، وتشيع فيهم الشبهات والمثالب، ثم لا تدفعهم إلى أي جانب من جوانب النهضة أو أي فكر آخر.

- لقد شكلت ثقافة الغرب بالنسبة للعرب والثقافة العربية (وبالتأكيد بالنسبة للمسلمين والثقافة الإسلامية) **الاستعلاء والتكبر**، تعبيراً عن موقع الغربي، وكانت العلاقة الاستثنائية محكومة بموقعة كمستعمر.

- **إن ثقافة التغريب** تعد اليوم الثقافة الأكثر تحدياً لثقافات كثيرة من الأمم والشعوب (بما فيها شعوب الأمة الإسلامية) بل إنه ليس من المبالغة في شيء، كما يشير عبد القادر طاش، إلى **إنها ثقافة "الهيمنة"**.

- ومن جهة أخرى **تستند ثقافة التغريب إلى مزاعم باطلة على رأسها إنها** – كما يقول المروجون لها والمنافحون عنها **ثقافة " إنسانية "** لا تختص بأقوام دون آخرين، كما أنها ثقافة "عالمية" أو "كوكبية" لا تحدها حدود جغرافية ولا تاريخية، وبما أنها ثقافة إنسانية وعالمية فهي ثقافة صالحة للناس جميعاً، ولا بد لها أن تسود العالم. **والقول بإنسانية هذه الثقافة وعالميتها أمر يكذبه الواقع**، إذ قدر سكان المعمورة أن يكونوا متعددي الثقافات كما هم متعدّدو اللغات والأعراق.

- إن ثقافة التغريب أيضاً **تتسع دائرتها يوماً بعد يوم في كثير من المجتمعات المعاصرة** وليس في المجتمعات العربية والإسلامية فقط، وتتوالى بالمقابل وتيرة انحسار الثقافات القومية والذاتية للعديد من المجتمعات غير الغربية، وقد تم بفعل الدعاية المكثفة التي تساند وتقوي ذلك النوع من الثقافة. ولذا **فثقافة التغريب ثقافة تسلطية نتيجة شعورها بالقوة، ونتيجة لاستغلالها السياسي، وتوافر وسائل الهيمنة لديها، ويستنتج من ذلك أن ثقافة التغريب إنما تستمد انبهاريتها من عوامل لا تمت للثقافة بصلة وطيدة.**

- ومن هنا يأتي **رفض التغريب** بمفهوم محاولة إحلال ثقافة الغرب محل الثقافة الذاتية للأمة الإسلامية، بوصفه **ضرورة حضارية**، من ثلاث جوانب :

**أولاً :** إن الدفاع عن الهوية الثقافية حق مكفول في شرائع الأديان السماوية وفي تنظيمات القانون الدولي. ولقد كان الإسلام أكثر الأديان السماوية حرصاً على عدم الاعتداء على ثقافة الآخرين، بل أسهم الإسلام في حفظ تلك الثقافات ورعايتها في ظل حضارته التسامحية.

**ثانياً :** إن حضارة الغرب حضارة خاصة لها منطلقاتها الفكرية و الأيديولوجية الملائمة للغرب فلماذا تجرد من خصوصيتها لتصبح عامة لكل البشر.

**ثالثاً :** إن الذي يسوغ لنا رفض ثقافة التغريب الغازية، يتعلق بثقافتنا الإسلامية نفسها، فهي ثقافة تقدم للناس خياراً آخر **يمكن أن يحتذوه**، وإن سيادة ثقافة التغريب وعدوانها ع الثقافة الإسلامية يضعف من موقف الخيار الإسلامي مما يفقد الإنسانية حرية الموازنة بين الثقافات واختيار الصالح منها.

### **نشأة التغريب :**

نشأ التغريب من بداية عصر الاستعمار الحديث للعالم الإسلامي من قبل أوروبا، وبالتحديد من غزو نابليون مصر عام ١٧٩٨ م ، فقد انتقل الصراع من صراع عسكري إلى صراع فكري ثقافي وعسكري واقتصادي، حيث لم يكتف الاستعمار الغربي بالسيطرة المطلقة على مقدرات الشعوب الإسلامية. بل اهتم بزعة عقائد المسلمين، وتبديل أخلاقهم، وربط مصيرهم بالفكر الغربي الذي بدأ يقوده في تلك الفترة مجموعة من المستغربين أمثال/ سلامة موسى - طه حسين- لطي السيد - وأدباء المهجر وغيرهم، لذا تعد هذه الحملة هي بداية حركة التغريب، والاستلاب الحضاري، وتضييع هوية الأمة.

### **بين التغريب والتفاعل الحضاري :**

يعيش العالم اليوم تقدماً حضارياً يتعلق بالتقنية، والعلوم الطبيعية، والتطبيقية، والإنسانية، وهذه المنجزات حق للإنسانية جمعاء، وعمل للبشرية كلها ويشترك الناس في صناعتها والاستفادة منها وإن كانت مصادرهما غريبة، وأصحاب الإبداع فيها في كثير من الأحيان هم الغربيون. وعلى هذا فإن نقل الإبداع التقني، والمعرفي الغربي أو الشرقي والاستفادة منه،

وتوظيفه وفق منهج الإسلام وقيمه ليس من التغريب في شيء، بل هو عمل إيجابي لتحقيق النمو الحضاري، ولمحاولة الوصول إلى مستوى التحدي والقوة الذاتية. ولكن التغريب المذموم هو نقل القيم الدينية والاجتماعية الخاصة المتعلقة بالهوية، واستنساخها بخيرها وشرها، لبذرهما في الأرض العربية والإسلامية، وإن كان في ذلك مخالفة للثقافة الإسلامية والثوابت الدينية والخصوصية الاجتماعية والهوية الذاتية هذا هو التغريب الذي ينبغي الحذر منه وحماية المجتمعات الإسلامية من مخاطره.

## أدوات التغريب :

١- **السياسة** : وذلك في صورة ضغوط سياسية تمارسها القوى المهيمنة بواسطة أدواتها كمجلس الأمن، وهيئة الأمم المتحدة، ولجانها المتعددة ع الدول الضعيفة والإسلامية خصوصاً منها لتنفيذ خطط التغريب، تحت شعارات : الإصلاح- الديمقراطية - التعددية - الليبرالية - حقوق الإنسان ( المرأة بالأخص و الأقليات الدينية ) وفي بعض الحالات تلجأ إلى الحروب المباشرة لفرض التغريب بالقوة.

٢- **الثقافة** : بالدعوة إلى الحرية الفكرية والمتضمنة الكثير من الجرأة على المقدسات الشرعية، والتنقيص من تراث الأمة، والتطاول على رموزها من السلف الصالح، وبنشر الإباحية، والدعوة إلى الفواحش وذلك من خلال الصحف والمجلات والروايات والكتب والقصص.

٣- **الأعلام** : تعد وسائل الأعلام بمختلف أنواعها من صحافة، وإذاعة، وقنوات فضائية وغيرها. من أبرز أدوات التغريب وأخطرها فقد وظف كثير منها للدعاية للقيم الغربية والترويج لها، ونقد ما يخالفها أو يضادها، فأضحت بذلك معاول هدم للمجتمعات الإسلامية.

- **جاء في تقرير من اليونسكو** : "أن إدخال وسائل أعلام جديدة وبخاصة التلفزيون في المجتمعات التقليدية أدى إلى زعزعة عادات ترجع إلى مئات السنين، وممارسات حضارية كرسها الزمن"  
يقول الدكتور حمود البدر : إنه تبين من خلال إحدى الدراسات التي أجريت ع ٥٠٠ فيلم طويل أن موضوع الحب والجريمة والجنس يشكل ٧٢% منها، وتبين من دراسة أخرى حول الجريمة والعنف في ١٠٠ فيلم وجود مشهد جريمة أو محاولة قتل، بل وجد في ١٣ فيلماً فقط ٧٣ مشهداً للجريمة.  
وقد ثبت للباحثين أن فنون التقبيل والحب و المغازلة و الإثارة الجنسية والتدخين يتعلمها السباب من خلال التلفزيون والسينما.

وفي دراسة قام بها بإعدادها الدكتور سمير حول برامج الإعلانات في التلفزيون ، كما يراها المشاهد والمعلنون توصل فيها إلى ما يلي :

٩٨,٦% من الأطفال يشاهدون الإعلانات بصفة منتظمة ويطمئن الآباء لهذه التوجهات لدى أبنائهم.  
٩٦% قالوا إن هناك إعلانات يحبونها ولذلك تجدهم يحفظون نص الدعاية المعلن عنها.  
ولهذا يقول الدكتور محسن الشيخ، من أخطر البرامج المقدمة من خلال الشاشة الصغيرة هي الإعلانات التجارية، لأنها قصيرة ومسلية وتحمل رسالتها بسرعة إلى الأوتار العقلية فتوقظها.

## - من ضمن الأدوات كذلك :

١- **البعثات الإسلامية** : حيث لعبت هذه البعثات دوراً كبيراً جداً في عملية التغريب فكان يؤخذ الطلاب الأذكيا من المدارس العربية ثم يعيشون هناك فيعودون إلينا بحضارة الغرب يدعون إلى تحرير المرأة والديمقراطية ... الخ فأصبحوا دعاة إلى الرذيلة وتغريب الدين.

٢- **القوة العسكرية** : كما حصل في مرحلة الاحتلال الغربي لبلدان العالم عموماً وبلدان العالم الإسلامي خاصة .

٣- **المناهج الدراسية** : من خلال صياغتها صياغة لا تمت إلى القيم الحضارية الإسلامية بصلة، وإنما مبنية على رؤى مادية وعلمانية.

## مسميات أخرى للتغريب ( الغزو الثقافي ) :

يرى بعض العلماء "أن الغزو الثقافي أحد أشكال الاستعمار الجديد ويسمونه "الصليبية الجديدة" التي تعمل على تنصير العالم ومحاولة فرض التغريب على بعض الأقطار الإسلامية عبر النخبات الحاكمة والمتقنين المنبهرين بحضارة الغرب". وقد قامت ع نشر هذا الغزو وترويجه مؤسسات ومنظمات ومراكز متعددة منها (الصهيونية والتبشير والاستعمار والأيدولوجيات المعادية للإسلام) كـ "الديمقراطية – الليبرالية – الشيوعية – القومية - الفلسفات الهدامة - النوادي والجمعيات المشبوهة" كـ "الماسونية وأندية الروتاري"، وبعض البرامج والمنوعات المذاعة والمتلفزة).

## أساليب التغريب ( الغزو الثقافي ) وآثارها على المجتمع الإسلامي:-

إذاً اتضح مما سبق أن الثقافة الإسلامية تواجه هجمات شرسة وخطط ومؤامرات عدة لمحاربتها وإنها لم تنزل إلى يوماً هذا تعاني من ذلك، ومن أعظم هذه التحديات على وجه العموم الغزو الغربي، غزو الحضارة الغربية بثتى مؤسساتها الذي ازداد خطرها على المسلمين منذ القرن الـ ١٩م وما يزال مستمراً حتى الآن. وللتقافة الغربية أساليب كثيرة في محاربتها للثقافة الإسلامية وأثرت سلبياً على المجتمع الإسلامي، وأهم هذه الأساليب وآثارها في الآتي :

١- التشكيك في أحكام الدين وصلاحيته للحياة، فقد صوروا الإسلام ديناً كهنوتياً محصوراً في العبادة والأخلاق، وإن الدين مفصول عن السياسة، وسموا علماء المسلمين (رجال الدين)، أو (الهيئات الدينية) تشبهاً برجال اللاهوت والكهنوت. وبهذه الدسائس ونحوها هدموا في نفوس الكثيرين فكرة أن الإسلام عقيدة ونظام شامل للحياة، وأبرزوا الإسلام على أنه مجرد شعائر تعبدية.

٢- الطعن في اللغة العربية، وذلك لإحلال اللاتينية محلها أو على الأقل إحلال اللهجات العامية لوضع الحواجز بين من يتكلمون اللغة العربية بهدف ضرب الوحدة الإسلامية وإيجاد الحواجز الفكرية بين الأمة الواحدة، ويهدف إلى فصل الأمة عن قرآنها وثروتها الفكرية، وأثر ذلك على الشباب المسلمين وهم يعزفون عن تعلم اللغة العربية في المدارس بل يفضل بعضهم اختيار لغة أجنبية أخرى من المواد الاختيارية في كثير من المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي.

٣- وضع مناهج التعليم على أساس فلسفة الغرب وحضارته القائمة على أساس فصل الدين عن الحياة، ولذلك نجد كثيراً من المناهج التعليمية تسير على هذا النهج وتبتعد عن ربط الدين بالحياة.

٤- تشويه التاريخ الإسلامي وذلك بالطعن في رجالات وقادة الأمة الإسلامية فقد عرضوا التاريخ الإسلامي من وجهة نظرهم وأظهروا أنه تاريخ حروب وفتن وسفك ودماء، وتعمدوا تشويه المواقف والأخذ بالروايات الضعيفة وتجاهل الروايات الصحيحة والقوية، وتشويه الجهاد والدعوة الإسلامية وفسروها بأنها للاستعمار وطلب الرفاهية، وقد قصدوا من وراء هذه طمس حياة المجتمع الإسلامي الراقية وتوليد الشعور بالنقص وإضعاف حواجز النهوض.

٥- نشر ثقافتهم وتركيزها تحت اسم العلم، فقد ألبسوا ثقافتهم ثوب العلم وفرضوا القوانين الغربية على بلاد المسلمين كما فرضوا تقاليدهم وعاداتهم وأخلاقهم وطرز معيشتهم.

٦- إيجاد الأفكار والحركات الهدامة ودعمها، تلك الأفكار التي سممت فكر الأمة، وأفسدت وجهة نظرها عن الحياة مما ترتب عليه إفساد الجو الإسلامي برمته، وبلبلة الأفكار بصورة ظاهرة، فقد نقلوا إلى العالم الإسلامي العلمانية والوجودية والماسونية والبهائية والقاديانية وفكرة عالمية الثقافة، وهذه الأمثلة قليلة مما أدخله الغرب عن طريق مؤسساتها من أجل تسميم الأفكار وإفساد وجهات نظر الأمة وإيجاد البلبلة في مجالات الحياة.

٧- إبعاد العلماء والمفكرين المؤمنين عن مراكز التوجيه والسلطة.

٨- إحياء النزعات الجاهلية قبل الإسلام كـ "الفرعونية والفارسية والإغريقية والفينيقية وغيرها".

## آثار التغريب :

أثرت حركة التغريب في العالم الإسلامي آثاراً سيئة، وكده منذ ظهور دعائها في بلاد المسلمين وتمكنهم في مواقع التأثير ومنابر الأعلام منها :

- **تكريس التبعية للغرب** وجعله النموذج الأفضل الذي يجب أن يحتذي في كل شيء حتى في الأوضاع السلوكية والأنماط الاجتماعية، وان الرجل الغربي هو المتفوق تمدناً ورقياً وحضارة وهو الجدير بالإقتداء والتأسي.
- **ربط أمور الناس بالدنيا والمادة**، وإغراقهم فيها إلى حد العبودية لها والإرتكاس فيها والحب والبغض فيها، قال تعالى : **"يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ"** [الروم:٧] ومن ينظر إلى أوضاع كثير من الشعوب الإسلامية يدرك طغيان المادة على التعامل وجعلها أساساً للموازن ومعياراً للقيم.
- **محاربة العفاف**، والتقليل من شأن الفواحش والفوضى الأخلاقية، ورعاية أصحابها واحتضانهم، واعتبار ظاهرة الفاحشة، وتمرد الشباب، والسفهاء على الفضيلة أمراً عادياً لا يستحق الاهتمام، وبالتالي لا يستدعي التفكير الجاد في العقوبة والتأديب. وما مظاهر انحلال الشباب، وكثرة الفواحش، وتهافتهم على البرامج التي تؤسس الاختلاط وتمارسه علناً إلا ثمرة لأطروحات دعاة التغريب.
- **السعي في تهديم بنیان الأسرة** باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية، وتشجيع ذلك والحض عليه وذلك عن طريق : "الإشادة بالقوانين التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها والتي تعتبرها من باب الحرية الشخصية التي يجب أن تكون مكفولة ومصونة". والهجوم على أوضاع المرأة المسلمة المحافظة، ومحاربة الحجاب، واعتباره من العوائد وليس من الإسلام والدعوة للسفور والاختلاط .
- **تغريب المناهج والفكر والثقافة** : ففي بعض الدول العربية يمنع دخول الطالبة إلى الكلية متحجبه، ونرى في بعض المناهج المدرسية (العربية) ما يدعو إلى تغريب كثير من الثوابت الفكرية والعلمية والثقافية.
- **تغريب وسائل الأعلام** : اليوم وسائل الأعلام مرئية كانت أو مسموعة كلها انقلبت تخدم الغرب ومصالحهم فأصبحت تروج للأفكار الغربية.
- **تغريب الاقتصاد** : بحيث استبدلت المصادر الغربية بمختلف مسمياتها (الضرائب - العائدات الربوية - ... الخ) بدلا من المصادر الشرعية.

## ما العمل لمواجهة التغريب :

### لواجهة التغريب ومعالجة أضراره في المجتمع الإسلامي لا بد من مراعاة الأمور التالية :

- ١- التربية وتحصين الأفراد والجماعات والأمة، ومسؤولية التربية الإسلامية تنطلق من الأسرة "فالأم والأب" مسئولان أمام الله عن تربية أبنائهم التربية السوية وعليهما توعيتهم وتوفير الحضانة الفكرية عن كل ما توصل إليه العقيدة الإسلامية في نفوسهم منذ الصغر، وتعليمهم كل ما توصل إليه العلم الحديث، ليكونوا فاعلين في مجتمعاتهم، وينهضوا بالأمة الإسلامية. ولا ننسى الدور المهم الذي تقوم به المدرسة بتوعية الطلاب، وعلى الدولة توفير حماية شعبها من كل التيارات الخارجية الهدامة.
- ٢- تطوير وسائل المعرفة والإعلام في العالم الإسلامي، لأن الدول مسئولة عن شعوبها أمام الله تعالى، وعليها تقوية الإعلام الإسلامي وجعله متميزاً عن الإعلام الغربي ليس تابعاً له، وعليها معالجة الخلل الهيكلي في مداخلات الإعلام ومخرجاته، وتكثيف التوعية الإسلامية وكشف نور الإسلام للعالمين الذي تسعى وسائل الإعلام الغربي إلى تشويبه عبر الفضائيات ووسائل الإعلام كافة. وعلى الدول العربية والإسلامية إقامة قنوات مختصة بالدعوة الإسلامية واستغلال الإنترنت في الدعوة الإسلامية وتعلم العلوم النافعة.

٣- تقوية الاقتصاد الإسلامي، وذلك بوضع خطط للتنمية الاقتصادية، فالتنمية الاقتصادية تصبح بهما الدول غير المنتجة منتجة، وعلى الدول الإسلامية فتح سوق إسلامية موحدة وعليها الاستفادة من تقدم الغرب في الصناعة وتحويل اقتصاديتها إلى اقتصاديات منتجة للصناعات الثقيلة والدقيقة.

٤- لم يعد للكيانات الضعيفة وزن في المحافل الدولية، ولذا كان لزاماً على المسلمين أن يشكلوا قوة عسكرية وسياسة واقتصادية وإعلامية موحدة في مواجهة سلبيات العولمة.

٥- يتعين على مؤسسات التربية تعميق الوازع الديني في نفوس أبناء الأمة، وان تضرب لهم أمثلة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، وان تحثهم ع الاقتصاد في الإنفاق والبعد عن التبذير والإسراف.

٦- كما يتعين على التربويين في البلدان الإسلامية إعادة النظر في المناهج والخطط الدراسية وفي جميع البرامج التعليمية، وذلك لتضمينها الجوانب الروحية والقيمية والأخلاقية حتى يشب عليها أبناؤنا وهم متمسكون بها واعون لأهميتها في نهضة مجتمعاتهم.

## التنصير

### مفاهيم التنصير :

- التنصير في مفهومه اللفظي اللغوي هو الدعوة إلى اعتناق النصرانية، أو إدخال غير النصارى في النصرانية. وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : { ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ }  
( البخاري/ الجنائز )

والفطرة هنا هي الإسلام.

- وفي لسان العرب : " والتنصُرُ: الدخول في النصرانية، وفي المحكم : الدخول في النصري. ونصَّرَه : جعله نصرانيا ... " وأورد الحديث الشريف. وقريب منه قول الفيروزآبادي في القاموس المحيط : "... والنصرانية والنصرانة واحدة النصارى، والنصرانية أيضا دينهم، ويقال نصراني وأنصار. وتنصَّر دخل في دينهم، ونصره جعله نصرانيا ... " وذكر مثل ذلك الزبيدي في تاج العروس.

- والتنصير في مفهومه العام ظاهرة بدأت مع ظهور رسالة عيسى ابن مريم - عليهما الصلاة والسلام - .. وقد حصل لهذا المفهوم تطورات بحسب ما حصل للنصرانية الأولى من تحريف بدأ على يد شاول أو بولس في القرن الأول الميلادي. وأدخلت عليها ثقافات يونانية [إغريقية] وهندية وفارسية، فأصبحت النصرانية خليطاً من الوحي الإلهي الذي أنزله الله - تعالى - على نبيه ورسوله عيسى ابن مريم - عليهما السلام - وأفكار البشر الذين سبقوا في وجودهم ظهور النصرانية.

- والتنصير ظاهرة متجددة ومتطورة في آن واحد. وتطورها يأتي في تعديل الأهداف، وفي توسيع الوسائل ومراجعتها بين حين وآخر، ومن ذلك اتخاذ الأساليب العصرية الحديثة في تحقيق الأهداف المعدلة، حسب البيئات والانتماءات التي يتوجه إليها التنصير، حتى وصلت هذه الظاهرة عند البعض، إلى أنها أضحت علماً له مؤسساته التعليمية ومناهجه ودراساته ونظرياته.

### المسلمون والنصارى :

- و لعل أول علاقة بين المسلمين والنصارى ، أو الإسلام و النصرانية، كانت على عهد الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - حينما أرسل وفداً من المهاجرين إلى ملك صالح في الحبشة يقال له النجاشي، ثم أرسل الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفوداً إلى الأباطرة في شمال الجزيرة العربية وشمالها الغربي مثل هرقل الروم ومقوقس مصر وغيرهما.

- وقد قدم على الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - في المدينة النبوية وفد من نجران بين أربعة عشر وستين فرداً - حسب الروايات - ، ومنهم العاقب وأبو الحارث والسيد، فدار بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبينهم حوار وحجاج حول طبيعة المسيح عيسى ابن مريم - عليهما السلام

- و عصر الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - كان حافلاً بالعلاقات مع النصارى، نتيجة لامتداد الفتح الإسلامي في الشام ومصر وما وراءهما. وبعد ذلك في العصور اللاحقة.

## الحروب الصليبية :

- تشكّل الصراع بين المسلمين والنصارى بوضوح أكثر إبان الحروب الصليبية، التي لا تعدو كونها شكلا من أشكال التنصير، اتبعت فيه القوة والغزو العسكري،
- وكان يدور خلال الحملات الصليبية الثماني نقاش وحوار بين المسلمين والنصارى من علماء الدين الإسلامي ورجال الدين النصراني، كانت من نتائجه ظهور مجموعة من المؤلفات تناقش حقيقة النصرانية وترد على النصارى في زعمهم حول طبيعة المسيح عيسى ابن مريم - عليهما السلام - وأسباب عدم إيمانهم بمحمد ﷺ رغم ذكر بعثته في الإنجيل.

## فترة الاحتلال :

- ثم تأتي مرحلة الاحتلال ( الاستعمار ) في القرنين ( ١٣ و ١٤ هـ / ١٩ و ٢٠ م ) وما سبقهما من إرهابات للاحتلال وتعدّ هذه المرحلة امتداداً للحروب الصليبية، مع نقص في الكفاءة وانعدام في التوازن بين الطرفين المسلم والنصراني، ويشكل الاحتلال كذلك شكلا من أشكال التنصير بل يعدّ التنصير ممهدا للاحتلال أولاً، ثم يعدّ الاحتلال مسهلا لحملات التنصير بعدئذ.
- وفي هذه الأثناء بدأ التنصير يأخذ طابع التنظيم من خلال وجود مجموعة من المؤسسات والإرساليات التنصيرية ( جماعة من المنصرين )، تنظمها وتدعمها الهيئات الدينية على اختلاف طوائفها والحكومات الغربية بخاصة، وظهرت للتنصير مؤسسات داخل المؤسسة الكبرى، كالمعاهد والجامعات والمنظمات والمراكز المنتشرة في كثير من الأماكن.

## التنصير بين المسلمين :

- وعندما تبين صعوبة إخراج المسلمين من دينهم عمد المنصرون إلى إتباع أساليب المستشرقين في بذر الشكوك في الإسلام لدى المسلمين، ونزع سلطان الدين من النفوس، كما يشير "هاملتون جب" في كتابه وجهة الإسلام.
- فاعتمد المنصرون أساليب بعض المستشرقين في تحقيق هدف تنصيري أدق من المفهوم العام التقليدي للتنصير. وهذا ما أعلنه أيضا بعض المنصرين في أكثر من مناسبة. يقول أحد أقطاب التنصير في المؤتمر التنصيري الذي عقد بجبل الزيتون في القدس في فلسطين المحتلة سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧م: "أظنون أن غرض التنصير وسياسته إزاء الإسلام هو إخراج المسلمين من دينهم ليكونوا نصارى؟ ولكن الغاية التي نرمي إليها هي إخراج المسلم من الإسلام فقط، ليكون مضطربا في دينه، وعندها لا تكون له عقيدة يدين بها ويسترشد بهديها، وعندها يكون المسلم ليس له من الإسلام إلا اسم أحمد أو مصطفى، أما الهداية فينبغي البحث عنها في مكان آخر".
- وفي الخطاب السري ألقاه البابا شنودة في الكنيسة المرقسية في الإسكندرية في شهر صفر من سنة ١٣٩٣ هـ - مارس من سنة ١٩٧٣م ذكر فيه أنه "يجب مضاعفة الجهود التبشيرية التي وضعت وبنيت على أساس هدف اتفق عليه للمرحلة القادمة وهو زحزحة أكبر قدر ممكن من المسلمين عن دينهم والتمسك به، على ألا يكون من الضروري اعتناقهم المسيحية، فإن الهدف هو زعزعة الدين في نفوسهم، وتشكيك الجموع الغفير منهم في كتابهم وصدق محمد".

## التبشير (Evangelism) :

- وهو مرادف لمصطلح التنصير. والتبشير هو التعبير النصراني لحملات التنصير، وله عند النصارى تعريفات مختلفة بحسب العصور التي مرت بها النصرانية. فهو تارة إرسال مبعوثين ليبلغوا رسالة الإنجيل لغير المؤمنين بها، أو محاولة إيصال تعاليم العهد الجديد لغير المؤمنين بها، أو إيصال الأخبار السارة إلى الأفراد والجماعات "ليقبلوا يسوع المسيح رباً مخلصاً، وأن يعبدوه من خلال عضوية الكنيسة، وفي حالة عدم إمكان ذلك السعي إلى تقريب المعنيين من الأفراد والجماعات من الحياة النصرانية بما في ذلك صرفهم عن دياناتهم بثتى الوسائل والأساليب".
- وهو عند المسلمين تنصير وأصحابه نصارى.

## أهداف التنصير والمنصرين :

- ١ - الحيلولة دون دخول النصارى في الإسلام، وهذا الهدف موجه الجهود في المجتمعات التي يغلب عليها النصارى. ويعتبر عنه بعض المنصرين بحماية النصارى من الإسلام.
- ٢- الحيلولة دون دخول الأمم الأخرى - غير النصرانية - في الإسلام والوقوف أمام انتشار الإسلام بإحلال النصرانية مكانه، أو بالإبقاء على العقائد المحلية المتوارثة.
- ٣- إخراج المسلمين من الإسلام، أو إخراج جزء من المسلمين من الإسلام. وهذا من الأهداف طويلة المدى، لأن النتائج فيه لا تتناسب مع الجهود المبذولة له من أموال وإمكانات بشرية ومادية. ذلك لأنه يسعى إلى هدم الإسلام في قلوب المسلمين، وقطع صلتهم بالله تعالى، وجعلهم مسخاً "لا تعرف عوامل الحياة القوية التي لا تقوم إلا على العقيدة القوية والأخلاق الفاضلة".
- ٤ - بذر الاضطراب والشك في المثل والمبادئ الإسلامية، لمن أصروا على التمسك بالإسلام، ولم يُجد فيهم الهدف الثالث سالف الذكر.
- ٥ - الإيحاء بأن المبادئ والمثل والتعاليم النصرانية أفضل من أي مثل ومبادئ أخرى، لتحل هذه المثل والمبادئ النصرانية محل المبادئ والمثل الإسلامية.
- ٦- الإيحاء بأن تقدم الغربيين الذي وصلوا إليه إنما جاء بفضل تمسكهم بالنصرانية، بينما يُعزى تأخر العالم الإسلامي إلى تمسكهم بالإسلام، وهذا منطق المنصرين المتمسكين بنصرانيتهم، أما العلمانيون فإنهم يقررون أن سر تقدم الغرب إنما جاء لتخليهم عن النصرانية، وأن تخلف المسلمين يعود إلى إصرارهم على التمسك بدينهم.
- ٧- تعميق فكرة سيطرة الرجل الغربي الأبيض على بقية الأجناس البشرية الأخرى، وترسيخ مفهوم الفوقية والدونية، تعضيدا للاحتلال بأنواعه .
- ٨ - ترسيخ فكرة قيام دولة ووطن قومي لليهود في أي مكان أولاً، ثم في فلسطين المحتلة بعدئذ، أخذاً في الحسبان أن الإنجيل والعهد الجديد بعد تحريفه بأيدي يهودية يتضمن تعاليم تدعو إلى هذه الفكرة، وأنها أضحت واجبا مقدسا على النصارى. ومن ناحية أخرى التخلص من الجنس اليهودي من أوروبا ثم أمريكا الشمالية.
- ٩- التغريب ، وذلك بالسعي إلى نقل المجتمع المسلم في سلوكياته وممارساته، بأنواعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأسري والعقدي، من أصلاتها الإسلامية، إلى تبني الأنماط الغربية في الحياة، وهي المستمدة من خلفية دينية نصرانية أو يهودية.
- ١٠- و الهدف الذي يذكر هنا متأخرا قصدا هو إدخال النصرانية أو إعادتها إلى عدد كبير من البلاد الإسلامية وغيرها، وبخاصة في إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية.

## وسائل التنصير والمنصرين :

- وقد تنبه منظرو التنصير إلى الوسائل، وأجروا عليها تقويمات وتعديلات تتناسب مع الزمان والمكان، وقد أوصلها بعضهم إلى سبع مائة طريقة أو خطة للتنصير .

وأبرز الوسائل وأظهرها وأوضحها التنصير الصريح، وهو على نوعين :

أولاً : التنصير العلمي القائم على النقاش أو على السفسة والتشكيك على طريقة الاقتضاب

**ثانياً :** التنصير القسري، ويتمثل في الحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش واختطاف الأطفال والقرصنة البحرية و إهراق المسلمين الراضين للتنصير والغزوات، والاحتلال [الاستعمار].

- ويمكن أن يتحقق القيام بالتنصير الصريح من خلال قيام مؤسسات تنصيرية ترعى الحملات، وتمكن لها، وتمدها بما تحتاجه من الموارد المالية والبشرية، وتتلقى الدعم المادي والمعنوي من الحكومات الغربية، ومن المؤسسات والأفراد عن طريق المخصصات والتبرعات والهبات والأوقاف.
- ومن أبرز هذه المؤسسات التنصيرية قيام الجمعيات المتعددة في أوروبا وأمريكا أو في البلاد المستهدفة .

### مؤهلات المنصرين :

أ - ففيما يتعلق بالمنصر أو المنصرة أوجبوا عليهما الآتي :

- ١ - تعلم اللهجات المحلية ومصطلحاتها.
- ٢ - مخاطبة العوام على قدر عقولهم.
- ٣ - إلقاء الخطب بصوت رخيم وفصيح المخارج.
- ٤ - الجلوس أثناء إلقاء الخطب.
- ٥ - الابتعاد عن الكلمات الأجنبية أثناء إلقاء الخطب.
- ٦ - الاعتناء باختيار الموضوعات.
- ٧ - العلم بآيات القرآن والإنجيل.
- ٨ - الاستعانة بالروح القدس والحكمة الإلهية.

ب - استخدام الوسائل المحببة إلى المسلمين من العوام كالموسيقى وعرض المناظر بالفانوس السحري، أي استخدام تقنيات التعليم.

ج - دراسة القرآن للوقوف على ما فيه.

د - عدم إثارة نزاعات مع المسلمين.

هـ - إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم.

و - إيجاد منصرين من بين المسلمين ومن أنفسهم.

ز - زيارة المنصرات لبيوت المسلمين والاجتماع بالنساء وتوزيع المؤلفات والكتب التنصيرية عليهن، وإلقاء المحاضرات الدينية في تعاليم الإنجيل.

### التنصير المختفي :

أما التنصير المختفي فَيُفْعَدُ بوسائل متعددة ومتجددة خاضعة للمراجعة والتقييم الدوري مطوعة للبيئات التي تعمل بها، ومن أهمها الوسائل الآتية:

١- البعثات الدبلوماسية :

٢- المستكشفون : المستكشفون الجغرافيون في البلاد الإسلامية وغيرها، حيث توفدهم الجامعات والجمعيات العلمية للنظر في قضايا جغرافية وطبيعية علمية تحتاج إلى الوقوف عليها

٣- التطبيب : بعثات التطيب التي يبدو من ظاهرها الإسهام في مجالات الإغاثة الطبية والصحية، وتعمل على خدمة النصرانية والتنصير من خلال إنشاء المستشفيات والمستوصفات والعيادات المتنقلة.

٤- التعليم الصناعي : بعثات التعليم الصناعي و التدريب المهني من خلال إنشاء المدارس و مراكز التدريب و الورش للشباب والشابات تستقطب إليها الطاقات. و تخضع لبرامج نظرية فيها دروس حول الثقافة و المجتمع و الدين و الآداب المبسطة التي تنفذ من خلالها التعاليم النصرانية.

**٥- التعليم العالي :** بعثات التعليم العالي التي تنشئ الكليات والجامعات والمعاهد العليا في المجتمع المسلم. و أقرب مثال على ذلك وجود الجامعات الأمريكية والفرنسية التي ثبت عملها في مجالات التنصير، بين المسلمين ومجالات خدمة الوجهة الغربية، وهذه ظاهرة تستحق وحدها الدراسة. وفي هذا المجال يقول " بيزوز " الذي تسلّم رئاسة الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٨ م،

وكانت تسمّى حينئذ بالكلية البروتستانتية الإنجيلية:

" لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أتمن وسيلة استغلّها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سورية و لبنان، ومن أجل ذلك تقرر أن يُختار رئيس الكلية البروتستانتية الإنجيلية من مبشري الإرسالية السورية ".

**٦- الإغاثة :** بعثات الإغاثة، حيث يهب الجميع رجالا ونساء، صغارا وكبارا يجلبون معهم المؤن والملابس والخيام وغيرها، ويقدمونها على أنها نعمة من عيسى ابن مريم - عليهما السلام سواء أكان هذا الإيحاء واضحا بالرموز والشعارات، أم بطريق خفي يصلون إليه بحذر خوف الابتعاد عنهم.

**٧- المرأة :** استغلال المرأة المسلمة وغير المسلمة. وللمرأة تأثيرها على الحياة كلها. ولها من القدرات ما يمكن استغلالها في تحقيق أهداف المنصرين وغير المنصرين. فهي أم ولها أثرها على أبنائها، وهي زوجة ولها أثرها على زوجها، وهي ابنة معرضة للتأثر.

**٨- العاملون :** استغلال العاملين النصارى في المجتمعات المسلمة على مختلف مستوياتهم العملية وتخصصاتهم من الأطباء والخبراء والمرضات والصيادلة والعمال المهنيين والحرفيين. وتوضح هذه الوسيلة جيدا في مجتمع الخليج العربي، حيث تقد مئات الآلاف من الطاقات البشرية الخبيرة وغير الخبيرة. ويفد مع هؤلاء المنصرون بثياب الطبيب والمرضة والفني والعامل.

**٩- البعثات الدراسية :** استغلال البعثات الدراسية للطلبة المسلمين خارج البلاد الإسلامية. وتعرض هذه الفئات من الطلبة إلى حملات قوية من المنصرين عن طريق مكاتب الطلبة الأجانب في الجامعات.

**١٠- الاستشراق :** استغلال المؤسسات العلمية التي تقدم دراسات عن العالم الإسلامي والعرب والشرق الأوسط. وهذه الظاهرة نشأت على أيدي كهنة وخدم للكنيسة، وأخذت مصطلح الاستشراق الذي يتولى الجانب العلمي في نزع سلطان الدين الإسلامي من النفوس. وطلّاع المستشرقين انطلقوا من الكنائس والأديرة.

**١١- المنظمات الدولية :** وواقع الحال أن الأحداث تثبت بجلاء أكثر ما الأيام أن المنظمات الدولية على اختلاف مهماتها تخدم النظرة الغربية للعالم الآخر. وأنها تسير حسب التوجيهات الغربية في التعامل مع الآخرين. ومن ذلك (اليونسكو)، ومنظمة الصحة العالمية، وجمعية رعاية الطفولة (SOS)، وغيرها من المنظمات التي تسعى إلى ترسيخ الفكرة الغربية على جميع الأنشطة، أو لِنَقْلُ تنظر إلى جميع المجتمعات بنظرة غريبة لا تتفق بالضرورة مع هذه المجتمعات التي تخدمها المنظمات الدولية

**١٢- وسائل الإعلام :** وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة وتلفزيون وسينما ومسرح، بالإضافة إلى وسائل الاتصال ونقل المعلومات، كلها تسهم في حملات التنصير، وهي من الوسائل المخفية. أما الوسائل الإعلامية الصريحة فهذه موجودة وكثيرة وتوجه إلى عدة لغات، وتغطي عددا كبيرا من ساعات البث.

**١٣- المنح الدراسية :** المنح الدراسية وسيلة من وسائل التنصير المخفي، ذلك أن بعض المنظمات التنصيرية تختار من النجباء ومن يتبين عليهم قسط عال من الذكاء، وتسهل لهم مواصلة دراساتهم الجامعية والعليا في الغرب، وترعاهم بالمنح المباشر، أو بإعطائهم الإعانات المقطوعة، أو الإسهام في بعثهم إلى الجامعات والمعاهد العليا.

**١٤ - التنمية :** ومن الوسائل الحديثة إسهام الجمعيات التنصيرية في مجالات التنمية تحت شعار "من الكنيسة إلى المجتمعات". وقد أنشئت لهذه الصدود لجان مثل هيئة الكنائس للإسهام في أعمال التنمية، "وتعمل هذه الهيئة في حقوق التنمية المتنوعة المختلفة مثل إقامة القرى الزراعية وعقد الدورات التدريبية المهنية لمختلف التخصصات التقنية والفنية، وتقديم القروض المباشرة على الفلاحين عن طريق مؤسسات ( وحدات الإقراض ) ومشروعات التهجير الداخلي للسكان وغير ذلك".

### وسائل مساندة للتنصير :

**١- الاحتلال :** الوسيلة المساندة الأولى والأقوى - فيما يبدو لي - هي الاحتلال (الاستعمار). وقد دعا المنصرون المستعمرين إلى احتلال البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، وعندما احتلت البلاد ذلل المحتلون العقبات أمام المنصرين، ولذا قيلت العبارة المشهورة في القدس، في العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري، الثاني من القرن العشرين التي قالها النبي : "اليوم انتهت الحروب الصليبية" وقريب من هذا ما قاله الجنرال غورو عندما دخل دمشق الشام ووقف على قبر صلاح الدين الأيوبي، وقال: "ها قد عدنا يا صلاح الدين".

**٢- السياسة :** الحكومة الغربية وسيلة مساندة للتنصير.

**٣- الفقر :** تعد ظروف الفقر والفاقة التي خلفتها مجموعة من العوامل البشرية والكوارث الطبيعية الحائلة بالمسلمين بقضاء الله وقدره إحدى الوسائل المساندة لحملات التنصير. وهي وسيلة مساندة قوية.

**٤- قلة الوعي :** وقلة الوعي بالدين وبالحياتة والجهل المطبق بين الناس، واختلاط الحق بالباطل عند كثير منهم، واختلاط الصدق بالخرافة، وانتشار البدع، كل هذه عوامل كفيلة باستقبال المنصرين وما يحملون من أفكار. وغيرها كثير .

### في مواجهة التنصير :

- لا يفهم من كون التصدي للتنصير والمنصرين هو غاية في حد ذاته، ولكن الدعوة إلى الله تعالى تقتضي العمل على التغلب على الصعاب التي تعترض الطريق. ومن أبرز هذه الصعاب - على ما يبدو لي - هي هذه الحملات التي لا تزال تتواصل على المجتمع المسلم.
- وتتحقق المواجهة بمجموعة من الوسائل، هي - دائما - خاضعة للتغيير والتبديل والتكيف بحسب البيئات التي تقوم فيها المواجهة.

**١- الدعوة إلى الله :** الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، فالمواجهة العلمية أن نقدم للآخرين من مسلمين وغير مسلمين البديل الذي نعتقد أنه الحق وهو الإسلام الذي جاء به القرآن الكريم وجاءت به سنة المصطفى محمد ﷺ. وأساليب الدعوة متعددة ومتنوعة، وكل ما يحقق الهدف ولا يتعارض مع الشرع أسلوب تفرضه أحيانا الحال أو الزمان أو المكان.

**٢- السياسة :** والحكومات الإسلامية يمكن أن تمارس أثرا فاعلا في التصدي للتنصير بعدم تقديم التسهيلات للمنصرين في المجتمعات المسلمة، وبالتأكيد على الوافدين إلى بلاد المسلمين من غير المسلمين باحترام ثقافة البلاد وعدم اتخاذهم أي إجراء عام يتعارض مع هذه الثقافة أو يتناقض معها،

**٣- هيئات الإغاثة :** وقد ظهرت على الساحة الإسلامية مجموعة من الهيئات الإغاثية الإسلامية وجمعياتها ولجانها. وهي مع تواضع تجربتها وافتقارها إلى الخبرة والعراقة، إلا أنها، مع قلة إمكاناتها، قد اقتحمت الساحة بفاعلية وهي تشكل تهديدا عمليا واضحا للجمعيات التنصيرية. والمطلوب في هذه الوسيلة تكثيف أعمالها وتعددتها النوعي وليس بالضرورة الكمي. وهذا التعدد ظاهرة صحية، إذا ما روعيت فيها الدقة والأمانة والإخلاص في العمل،

٤- **علماء الأمة** : والعلماء وطلبة العلم يناط بهم عمل عظيم في المجال. والمطلوب من العلماء وطلبة العلم الولوج إلى المجتمعات المسلمة بعلمهم مباشرة عن طريق الزيارات المستمرة وأوجه النشاط العلمي والثقافي الجماعي والفردى، وعن طريق المحاضرات والمؤلفات والرسائل القصيرة والنشرات الموجهة قصدا إلى العامة.

٥- **التجارة والاقتصاد** : والتجار ورجال الأعمال والموسرون مطالبون بالإسهام في التصدي للتنصير، سواء أكانوا في أماكن أعمالهم، أم في البلاد التي يتعاملون معها.

٦- **شباب الأمة** : مع شيء من التوجيه يمكن أن يسهم الشباب في التصدي للتنصير والمنصرين عن طريق التطوع، فيكونون سندا للعاملين في مجالات الدعوة والإغاثة.

٧- **المؤسسات العلمية** : وهناك مؤسسات علمية ومؤسسات تعليمية كالجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث. وهذه منتشرة في أنحاء العالم الإسلامي، ويتوقع لها أن تسهم في مجال التركيز على الحملات التنصيرية، فتبين خطرها على الأمة

٨- **المنظمات الإسلامية** : رابطة العالم الإسلامي، منظمة المؤتمر الإسلامي، الندوة العالمية، الاتحاد العالمي للعلماء، المجمع الفقهي، ... الخ

## الحوار

### مقدمة :

- تردد لفظ الحوار في العقود الأخيرة، في محافل شتى، وصفت به أنواع من العلاقات متباينة، لا يستطيع المراقب أن يقول أنها كلها كانت مجاوبة وتجاوباً إيجابيين مما يؤدي إلى النفع العام للمحاورين - أفراداً وجماعات - بل كان بعضها كذلك. وكان بعضها الآخر محاولة من القوي لفرض رأيه وثقافته، ونظرته إلى الكون والناس والأشياء. وهذا ما يدعونا إلى تناول هذا الموضوع (الحوار) بالتحليل والمناقشة حسب الخطة المذكورة.

### تعريف الحوار و أهميته :

#### تعريف الحوار :

- الحوار في اللغة من الحور وهو : الرجوع عن الشيء إلى الشيء. [اللسان ٢١٧/٤] ويقصد به: المراجعة في الكلام.
- والجدال : من جدَلَ الحبل إذا قتله، أطلق على من خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، ثم استعمل في مُقَابَلَةِ الأدلة لظهور أرجحها.
- و بين الجدال والحوار فرق؛ فالحوار مراجعة الكلام وتبادلته بين المتحاورين وصولاً إلى غاية مستنداً إلى أنه يجري بين صاحبين أو اثنين ليس بينهما صراع، ومنه قوله تعالى: (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) [الكهف: ٣٧].
- وأما الجدال : فأكثر وروده في القرآن الكريم بالمعنى المذموم كقوله تعالى: (وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) [غافر: ٥] وهذا الجدال حوار لا طائل من ورائه .
- ولكن جاء الجدال أيضاً محموداً في مواضع كقوله تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [العنكبوت: ٤٦]، وقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥].
- فالجدال بالتي هي أحسن مرادف للحوار الإيجابي البناء،
- ويجمع بين الحوار والجدال معنى تطارح الرأي والأخذ والرد وقد جمعهما قول الله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [المجادلة: ١].
- ويراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردُّ الفاسد من القول والرأي.

### أهمية الحوار :

- يكتسب الحوار أهمية بالغة في منظومة الدعوة الإسلامية، فهو أسلوب أصيل من أساليب الدعوة ومعلم بارز في منهجها الرشيد.
- وللحوار دوره الكبير في تأصيل الموضوعية.
- والحوار قديم قدم البشرية فهو نابع من أعماق النفس البشرية،
- ومما ورد في القرآن الكريم الحوار الذي كان بين آدم وزوجه وهما في الجنة، وكذلك ما أمر الله به الملائكة من السجود لآدم لما خلقه قال تعالى : ( وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) إلى آخر الآيات من سورة [البقرة: ٣٠ وما بعدها].

## أهداف الحوار ومقاصده :

- وهي كل ما يحقق الخير والصلاح والأمن والسلام والرخاء والطمأنينة للناس كافة. وفي اللفظ القرآني "التعارف" من قوله تعالى في سورة الحجرات، ما يُعني ويفيد ويقوي ويزكّي هذه المعاني جميعاً، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات: ١٣).  
فالتعارف هنا يتسع ليشمل التعاون والتعايش، وكلّ ضروب العمل الإنساني المشترك، لما فيه الخير والمنفعة لبني البشر. وهو هدفٌ سامٍ من أهداف الحوار.

- وينبغي أن تبدأ أهداف أي حوار من الإنسان وتدور حول شؤونه وقضاياها، وتعود إليه، لئلا يفقد الحوار قيمته وأهميته ومضمونه الغني. وهذه الأهداف من الكثرة بحيث يتعدّر حصرها،

## ولكن يمكن إجمالها فيما يلي :

إن المقصود من الحوار ليس المجابهة والإفحام إذ إن ذلك هو من باب المناظرة ومحاولة الظهور على الخصم و تعجيزه عن الرد. وإنما المقصود أن يحصل كل ما يأتي أو بعضه :

١. معرفة اطروحات الطرف الآخر ووجهات نظره وحججه في القضايا التي هي موضوع الحوار. وتعريف الطرف الآخر بما يغيب عنه أو يلتبس عليه من المعلومات ووجهات النظر والبراهين في القضايا التي هي موضوع الحوار.
٢. العمل على إقناع الطرف الآخر ليتخلص من وجهات نظره ومواقفه كلياً أو جزئياً في القضايا التي هي موضوع الحوار ليتقبلها ويعمل على تبنيها بعد اقتناعه بها سواء بعد الحوار مباشرة أو تدريجياً على المدى الطويل.
٣. العمل على استكشاف ما لدى الطرف الآخر من حقائق وإيجابيات والاعتراف بها وقبولها والاستفادة منها طالما (أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها).
٤. العمل على استكشاف ما عند المحاور من معلومات غير صحيحة أو دقيقة ومما في وجهات نظره أو مواقفه من ثغرات وأخطاء والعمل على تداركها وإصلاحها.
٥. تشييد جسر للتواصل السلمي البناء وسد الطريق أمام المواجهات والمصادمات مما يبدد الجهود.
٦. أن الحوار يساعد على التوفد الذهني وهي صفة ملازمة لأجواء التحدي الفكري والحوار المتبادل.
٧. قد يؤدي الحوار إلى إيضاح الحقيقة بالإضافة إليها، فيعطي كل فرد ما يعرف من أجزاء الحقيقة حتى يمكن تركيبها كاملة وحتى صاحب الحق فإن أجزاء من الحق تبرز له بصورة أوضح أثناء توفده الذهني في لحظات الحوار.
٨. إحباط حجج المتطرفين والمتعدين فكثير من حوارات كبار علماء الإسلام مع الفرق الضالة كشفت زيف أفكارهم وذلك ما سجلته كتب تراثية خالدة كالممل والنحل " للشهرستاني " و الفصل بين الملل والأهواء والنحل " لابن رشد" والرد على الجهمية " لابن تيمية" والصواعق المرسله " لابن القيم" والمسألة القاديانية " للمودودي " وغيرها.

**إقامة الحجة :** الغاية من الحوار إقامة الحجة ودفع الشبهة والفاقد من القول والرأي. والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.

**الدعوة :** الحوار الهادئ مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس. قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥].

**تقريب وجهات النظر :** من ثمرات الحوار تضيق هوة الخلاف، وتقريب وجهات النظر، وإيجاد حل وسط يرضي الأطراف في زمن كثر فيه التباغض والتناحر.

**كشف الشبهات :** كشف الشبهات والرد على الأباطيل، لإظهار الحق وإزهاق الباطل، كما قال تعالى: **( وَكَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ )** [الأنعام: ٥٥].

### **الأصول والقواعد الرئيسية التي تضبط مسار الحوار :**

**الأصل الأول :** إرادة الوصول إلى الحق .

فلا بد من التجرد في طلب الحق، والحذر من التعصب والهوى، وإظهار الغلبة والمجادلة بالباطل. يقول الإمام الغزالي عند ذكره لعلامات طلب الحق: "أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده، أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق"

**الأصل الثاني :** تحديد الهدف والقضية .

تحديد الهدف والقضية التي يدور حولها الحوار، فإن كثيراً من الحوارات تتحول إلى جدل عقيم سائب ليس له نقطة محددة ينتهي إليها.

**الأصل الثالث :** الاتفاق على أصل يرجع إليه .

والمرجعية العليا عند كل مسلم هي الكتاب والسنة، والضوابط المنهجية في فهم الكتاب والسنة. وقد أمر الله بالرد إليهما فقال سبحانه: **( فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ )** [النساء: ٥٩].

فالإتفاق على منهج النظر والاستدلال قبل البدء في أي نقاش علمي يضبط مسار الحوار ويوجهه نحو النجاح، إذ إن الاختلاف في المنهج سيؤدي إلى الدوران في حلقة مفرغة لا حصر لها ولا ضابط.

**الأصل الرابع :** عدم مناقشة الفرع قبل الاتفاق على الأصل .

فلا بد من البدء بالأهم من الأصول وضبطها والاتفاق عليها، ومن ثم الانطلاق منها لمناقشة الفروع والحوار حولها.

### **دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إلى الحوار :**

ليس أدل على ذلك من ورود مبادئ اللصيغ البيانية في القرآن الكريم، ولا غرو فالقرآن الكريم كله بيان وهدى للناس، بل هو قمة البيان وذروة البلاغة، **من ذلك:**

١. ورود السياق القرآني الجليل مصدراً بصيغة الأمر (قُلْ) المشعرة بأن الداعية ينبغي أن يصدع بالحق وأن يتخذ من القول المبين والحجة البالغة منهاجاً وغاية،

- كما في قوله تعالى في تقرير التوحيد: **( قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَبَدَّلَ مَا يَفْعَلُ لِيَافِي مَا فَاعِلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أكونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* قُلْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ )** {سورة الأنعام آية: ١٤ - ١٩}. وقوله تعالى: **( قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا )** [الرعد: ١٦].

- وأيضاً في الرد على المشركين: **( قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* قُلْ لَا نَسْأَلُونَ عَمَّا أَعْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ \* قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ \* قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ )** [سبأ: ٢٤-٢٧].

- وأيضا في الرد على منكري النبوة: (قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ \* قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ \* قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَآمَ الْغُيُوبِ \* قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ \* قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) [سبأ: ٤٦-٥٠].

- وقد يأتي الأسلوب القرآني الجليل على شكل تعليم الحوار على غرار (إِنْ قَالُوا كَذَا فَقُلْ كَذَا) وهي صورة من التدريب على القول ومثاله قوله تعالى: (وَقَالُوا أَنَذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا \* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا \* أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا) [الإسراء: ٤٩-٥١].

- صيغة يستفتونك ويأتي عقبها فعل الأمر (قُلْ) (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ) [النساء: ١٧٦].

- وأيضا صيغة يسألونك ويأتي عقبها فعل الأمر (قُلْ) وقد وردت (١٥) مرة، منها: قوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ...) [البقرة: ١٨٩]. وهذا يتضمن فيما يتضمنه التوجيه يتعلم صيغ الجدل والحوار ومعرفة متى يتكلم الداعية وكيف وبماذا... مما هو من مؤهلات الدعاة ومقوماتهم الخطابية.

### الدعوة الإسلامية واستخدام الحوار :

- وفي مجال الدعوة إلى الله نجد أن الإسلام ينبذ العنف لأن الدعوة الإسلامية تستهدف البدء بتغيير النفس وإعادة صياغة الإنسان قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) (سورة الرعد من الآية: ١١).

وتغيير ما بأنفسهم وما بداخلهم لا يتأتى بالإكراه أو العنف، لأن العنف يؤدي إلى النفاق، فإذا استعملت العنف في الدعوة أكرهت الآخرين، فأنت تكسب بذلك منافقا لا مؤمنا، لأنك تكسب الظاهر، أما الداخل أو الباطن فلا يظهر، ومن هنا كانت وما زالت الحكمة والموعظة الحسنة، والحوار والجدال بالتي هي أحسن سبيل الدعوة.

- فالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن هي من أبرز وسائل الدعوة إلى الله وهي علامة على وسطية الأمة (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (سبأ: ٢٤)، وقد كان رسول الله ﷺ يحاور الناس ويبحث عن يقبل دعوته، واستخدم رسولنا ﷺ الوسائل المتعددة لتبليغ الرسالة ومنها الحوار.

وقال سبحانه وتعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف: ١٠٨)، وقال ﷺ (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل: ١٢٥)، أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب.

### تقوم فلسفة الحوار في الحضارة الإسلامية على قواعد ثلاث، هي:

**القاعدة الأولى :** الإيمان بالله ورسوله وكتابه، وتقوى الله، والتواضع لله، والثقة في نصره، والاعتزاز بالحق والتشبث به، يقول تعالى في محكم التنزيل: (وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الْوَسِيلُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)، (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ). فاستشعار العزة والامتلاء بها، يحفزنا إلى الثبات في مواقف الحق، وإلى عدم الركوع إلى الباطل أو الانهزام أمام سطوته، ويقويان في النفس إرادة البقاء الحر الكريم، فالمؤمن دائما عزيز النفس قوي الجانب، حر الإرادة، كريم الذات؛ لا يقبل الهوان والانكسار والذلة والصغار، لا في دينه، ولا في نفسه.

**القاعدة الثانية :** التأدب بأخلاق الإسلام، والتأسي بسيرة النبي ﷺ وسيرة صحابته الكرام، في الحوار ومخاطبة الناس من منطلق الإيمان بوحدة النوع الإنساني أولاً، قال ﷺ «كلكم لأدم وآدم من تراب»، والمجادلة بالتي هي أحسن ثانياً، يقول تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).

**القاعدة الثالثة :** نشد أن الحق والبحث عنه، والسعي إلى الحقيقة والتماسها، والقصد إلى ما فيه الصالح العام من شتى الطرق التي ليس فيها انحراف عن محجة الشرع، و بمختلف الوسائل التي تحقق مصالح العباد و البلاد. وعلى الرغم من الطبيعة المتشعبة للحوار، فإنه ليس دعوة، ولا مناظرة، ولا مجادلة، ولكنه صيغة جامعة، و أسلوب من أساليب التقارب و التجاوب و التفاعل.

### منطلقات الحوار من منظور إسلامي :

- ما دام الحوار الراقي هو مظهر حضاري يعكس تطور المجتمع ونضج فئاته الواعية، فإنه لا بد أن يستند إلى أسس ثابتة، وضوابط محكمة، وأن يقوم على منطلقات أساس يمكن حصرها في ثلاث، هي :  
(١) الاحترام المتبادل. (٢) الإنصاف و العدل. (٣) نبذ التعصب و الكراهية.

**١. الاحترام المتبادل :** وفي رؤيتنا الإسلامية الحضارية، فإن الاحترام المتبادل بين الأطراف المتحاورة، هو المنطلق الأول الذي يجب أن يركز عليه الحوار. يقول تعالى: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) (الأنعام: ١٠٨).

وهذا يفترض وجود قواسم مشتركة تكون إطاراً عاماً وأرضية صلبة للحوار. ولنا في القيم الدينية أولاً، ثم في المبادئ الإنسانية والقواعد القانونية ثانياً، غناءً لجميع الفرقاء المشاركين في الحوار، على أي مستوى كان، وهي جميعاً قيم ومبادئ تحكم علاقات البشر، وتضبط مسار حركاتهم وسكناتهم، وتضع القواعد الثابتة للتعامل فيما بينهم.

**٢. الإنصاف و العدل :** ولنا في قوله تعالى في سورة المائدة قاعدة ثابتة، وهداية دائمة. يقول تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ) (المائدة: ٨). فالعدل هو أساس الحوار الهادف الذي ينفع الناس ويمكث أثره في الأرض.

إن العدل هو روح الشريعة الإسلامية، وهو جوهر القانون الوضعي، وهو الأساس الراسخ الذي يقوم عليه القانون الدولي الذي يجب أن يسود المجتمعات البشرية كلها. ولذلك فإن العدل والإنصاف في مفهومنا الإسلامي، هو الشرعية الحضارية التي ينبغي أن تكون منطلقاً للحوار، أيّاً كان مستواه، ومهما تكن أهدافه.

**٣. نبذ التعصب و الكراهية :** ونجد أصلاً لهذه القاعدة في قوله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (المتحنة: ٨).

والتوجيه القرآني هنا، يرقى من مستوى نبذ التعصب والكراهية، إلى مقام أرفع، وهو البرُّ بالناس كافة، ومعاملتهم بالقسط وهو العدل جميعاً. والبرُّ هو الإحسان بكل دلالاته الأخلاقية واللغوية. ونتلو في سورة البقرة قوله تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) (البقرة: ٨٣).

### **موضوعات الحوار :**

- إن كل ما فيه المصلحة للفرد و المجتمع، يصلح أن يكون مجالاً للحوار، وكل ما يحقق المنفعة للمجتمع يكون موضوعاً للحوار، فلا يقتصر الحوار على موضوع دون آخر،

- فهو يتناول الموضوعات جميعاً، و يشمل كل القضايا ذات الصلة بحياة المجتمع في حاضره ومستقبله، و يغطي شتى الموضوعات التي ترتبط بجميع مناحي الحياة سياسياً و اقتصادياً، ثقافياً و علمياً، تربوياً و فكرياً،

- و يستجيب للحاجات الضرورية التي تفرضها طبيعة العلاقات الثنائية و المصالح المتبادلة.

- وموضوعات الحوار هي من السعة والشمول بحيث لا تُحدُّ بمدارٍ أو مسار، ما دام الهدف هو الوصول إلى الحقائق، وتحقيق الأهداف التي تعود بالنفع على الجميع.
- ولا شك أن المجتمعات الإسلامية في المرحلة الراهنة في حاجة إلى أن يفتح فيها الحوار على آفاق العصر،
- ولن يتيسر هذا إلا بالأخذ بأمرين مهمين، "أولهما الدخول في حوار مع العصر، بما يناسب من طرائق وأساليب، وثانيهما تحسين الذات بإصلاح أحوال الفرد والمجتمع إصلاحاً عميقاً، ومن النواحي كافة، حتى تسود روح الحوار العالم العربي الإسلامي، ويتعمق (الحوار الوطني) و(الحوار العربي العربي)، و(الحوار الإسلامي الإسلامي)، وهذا يمكن أن نصلح عليه "بالحوار الداخلي"،
- وهو خطوة أولى نحو الحوار مع الخارج، لأنه يقوي النسيج الوطني في كل بلد من بلدان العالم العربي الإسلامي، من جهة، ويكسب المجتمع مناعة أصبحت اليوم ضرورية للتعامل مع العالم المحيط بنا، من جهة ثانية. لأننا لا يمكن أن نفلح في الحوار مع العالم، ما لم نفلح في الحوار مع أنفسنا.
- فالحوار حركة مطردة، وقوة دافعة للنشاط الإنساني، و طاقة للإبداع في شتى مجالات الحياة، ووسيلة للنهوض بالمجتمعات،
- وهو سبيل إلى تحسين الشعوب والأمم ضد المخاطر التي تتهددها من جراء تصاعد الخلافات المتشعبة، سواء حول قضايا العقيدة والفكر والثقافة والحضارة واللغة، أو القضايا التي ترتبط بشؤون السياسة والاقتصاد والتجارة والأمن والحرب والسلام.
- إن اللجوء إلى الحوار بدلاً عن الصدام، هو في حد ذاته تعبيرٌ عن نضج فكري ووعي حضاري، وتصميم على البحث عن أقوم السبل لتجنب الخسائر، ولتفادي المخاطر، وللتغلب على المشكلات، ولمعالجة الأزمات أو إدارتها، بعقل متفتح، وبضمير حي.
- ولما كان أمام العالم العربي الإسلامي مهامٌ مستعجلة لبناء الذات وتقديم المجتمع وازدهار الحياة، فهو مدعوٌ اليوم، ولعل ذلك أكثر من أي وقت آخر، إلى الانفتاح على آفاق العصر على امتداداتها، وإلى الدخول في حوارات جديّة وهادفة مع دوائر عديدة، وعلى مستويات متنوعة،
- ليثبت للعالم كله جدارته واستحقاقه وأهليته للإسهام في صياغة حضارة إنسانية جديدة تسود فيها قيم الخير والحق والفضيلة والتسامح والتعاون ومبادئ السلم.

### حوار الحضارات :

- دعت منظمات عديدة " لحوار الثقافات " في الثمانينات من القرن العشرين ثم انتهى هذا الحوار إلى أوراق في كتب نشرت عن لقاءاته، لكنها لم تثمر تغييراً ثقافياً حقيقياً ملموساً حتى الآن.
- وحين ترددت في أرجاء الكون الثقافية والسياسية **صيحة الكاتب الأميركي "صاموئيل هنتنغتون"** عن "صراع الحضارات " أو "صدامها " كان البديل العاقل المحتمل، لها هو الحديث عن حوار الحضارات، والدعوة إليه، والعمل على إنجاحه، لتجنب البشرية ويلات الصراع، ولتخاشي أثار الصدام المؤلمة أو المدمرة.
- وحوار الحضارات مطلب إسلامي عبّر عنه كثير من المفكرين المسلمين، بل ردوا به على تحليلات "صاموئيل هنتنغتون" الخطيرة والمخيفة.

## مفهوم حوار الحضارات وأهدافه :

حوار الحضارات هو التشاور والتفاعل الثقافي بين الشعوب ، و القدرة على التكيف مع الأفكار المخالفة والتعامل مع جميع الآراء الثقافية والدينية والسياسية. تتعدد أهداف الحوار الحضاري، ومنها : التعارف والتواصل وكذا التفاعل و الاحتكاك الحضاري.

## مجالات الحوار الحضاري :

- المجال الديني : يتجلى في الحوار بين الإسلام و باقي الديانات.
- المجال السياسي : هو الحوار بين مختلف التيارات السياسية.
- المجال الاقتصادي : هو التعاون الاقتصادي بين الدول في مختلف الأنشطة الاقتصادية.
- المجال العلمي والفكري : يتجلى في التبادل المعرفي و تبادل الأفكار .

## شروط الحوار الحضاري :

لا يحقق حوار الحضارات نجاحه المبتغي، ولا يصل إلى هدفه المنشود ما لم تتوفر له شروط هذا النجاح ومقومات تحقيق هذا الهدف.

## أولاً : الاعتراف بالآخر :

أول الشروط التي لا يتم الحوار أصلاً دون توافرها هو أن يكون كل من طرفي الحوار أو أطرافه، معترفاً بالآخر وبالآخرين. فالحوار يقتضي قبولاً مبدئياً -على الأقل- بوجود الآخر، وبحقه في هذا الوجود، وبخصوصيته التي لا يجوز لأحد أن يسعى إلى تغييرها، وبمقومات استمرار بقائه مغايراً ومتميزاً، وبحقه في المحافظة على هذه المقومات وتوريثها في أجياله المتعاقبة جيلاً بعد جيل.

- وفي القرآن الكريم الأمر الصريح بأن سبب اختلاف الخلق - شعوباً وقبائل - هو تيسير التعارف بينهم (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبير).

- والتعارف يقتضي تقارباً بين المتعارفين، وتسليماً متبادلاً باختلاف كل منهما عن الآخر، ولا يستمر الأمر بالتعارف مطاعاً إلا إذا استمر التباين والاختلاف بين الناس المخاطبين بهذه الآية الكريمة - جميعاً - قائماً.

- فأبناء الحضارة الإسلامية، والداعون إلى مشروعها الاجتماعي في عصرنا، يسلمون بمقتضى هذا الشرط الأول من شروط نجاح حوار الحضارات، ولا يطلبون من أبناء الحضارات الأخرى إلا أن يكون لهم الموقف نفسه.

- وإلا فإن الحوار سيصبح حديثاً من طرف واحد، أو محاولة كل طرف غزو الطرف الآخر ودحره، وهكذا يعيش العالم صراعاً وصداماً، ولا يعيش حواراً ولا تعارفاً.

## ثانياً : التبادل الحضاري :

والشرط الثاني من شروط نجاح الحضارات واستمراره هو أن يتحقق له معنى التبادل بأن يكون لكل طرف من أطرافه حق قول رأيه وبيان موقفه من القضايا التي يجري الحوار حولها، مهما كان هذا الرأي أو الموقف مخالفاً لما يعتقد أو يفعله، أو يدعو إليه ويدافع عنه الآخرون.

و الحوار - في اللغة العربية - على صيغة فعال، وهي جمع فعل، أي أنه لا يتحقق بفعل طرف واحد، وإنما بأفعال أطراف متعددين.

والحضارات المتباينة الحية، تملك كل منها مقومات خاصة بها، ويراها أصحابها صواباً نافعاً، وقيمة الحوار بينها تبدو في تعرف أبناء كل منها على الأخرى كما يراها أصحابها، لا كما تراها أعين الغرباء عنها، رضاً كان ما تظهره هذه العين أم سخطاً، نقصاً كان أم كمالاً، جزئياً كان قاصراً كان أم كلياً شاملاً.

### ثالثاً : التجدد والتعدد :

والشرط الثالث من شروط نجاح الحوار بين الحضارات واستمراره أن يكون نشاطاً دائماً متجدداً، لأن الإحاطة بجوانب التميز والتغاير، ثم الإفادة منها في تبادل الخبرة والمعرفة ووسائل النمو والترقي، لا يتم في جلسة أو عدة جلسات ولا يحيط به فرد أو مجموعة أفراد. ولكنه يحتاج إلى تواصل مستمر يتعدد المشاركون فيه بتعدد جوانب الحياة وتكاثر التخصصات فيها، حتى يؤدي ثمرته ويحقق غايته.

### رابعاً : الثقافة :

من شروط نجاح حوار الحضارات واستمراره أن يكون محوره الثقافة التي تعبر عنها الحضارات المختلفة، والنشاط البشري الذي تتمثل فيه هذه الثقافة. ومن معاني هذا الشرط وضروراته أن تستبعد من الحوار بين الحضارات موضوعات العلاقات السياسية، والتبادل الاقتصادي، والاختلاف الديني.

### الدين والحوار الحضاري :

- الحوار بين أهل الأديان المختلفة له هدف واحد هو أن يبسر للناس العيش معاً في مجتمعات مختلف الأديان، عيشاً تسود فيه الأخوة الإنسانية، ويجري على قاعدة المشاركة المتساوية في المواطنة، دون خلط بين الأديان أو تفريق بينها.
- ويرمي إلى أن لا يظلم أحد حقاً هو له بسبب تميزه الديني عن الآخرين، ولا يأخذ أحد حق غيره بسبب انتمائه الديني إلى عقيدة الحاكمين، أو الكثرة من المواطنين.
- ثم أن الحوار بين الأديان - حين تختلف الأوطان - يجب أن يتجه إلى هذه الغاية نفسها : كيف يعيش الناس معاً في عالم يتسع للجميع، على الرغم من اختلاف العقائد والشعائر والملل والنحل.
- ونحن في داخل الوطن الواحد نسعى إلى تحقيق "العيش الواحد" بين المواطنين مهما اختلفت أديانهم أو مذاهبهم أو مشاربهم العقيدية داخل هذه الأديان والمذاهب.
- والعيش الواحد هو حياة المواطنين المتساوين في أصل المواطنة، وفيما يترتب عليها من حقوق وواجبات، وفيما يكون نصيباً لكل مواطن من غرم أو غنم، لا يفرق بينهم في ذلك كله - أو بعضه - إن أحدهما يتبع ديناً والثاني يعتنق ديناً آخر، وإنما يجمع بينهما الاشتراك في الانتماء إلى الوطن الذي هم بنوه جميعاً.

## اللغة العربية وعاء التعليم و الثقافة

### وظائف اللغة :

الوظيفة الاجتماعية للغة : إذ يفهم الناس معنى حديث بعضهم البعض، والى جانب ذلك فهي سلاح مهم من أسلحة مواجهة الكثير من المواقف الحياتية التي تتطلب استخدام اللغة في استماع وتحدث وقراءة وكتابة.

### الوظيفة النفسية للغة :

فيها يتمكن الإنسان من النطق والتعبير الجيد بطلاقة مما يشعره بالطمأنينة والإحساس بالرفعة، ويدفعه ذلك إلى مزيد من الرقي والثقة بنفسه وعدم الخجل أو الاضطراب أو الخوف.

### الوظيفة الفكرية للغة :

فتعني أنها تكشف عن علاقة حميمة بين الفكر واللغة، إذ أن بينهما ارتباطاً عضوياً، فالفكر مختزن في عقل الإنسان لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولكي يخرج الإنسان أفكاره إلى حيز الوجود فلا بد من قالب يصب فيه تلك الأفكار وضبطها ودقتها. فمن الثابت أن عملية التفكير في حد ذاتها لا يمكن أن تكون إلا باستخدام ألفاظ دالة على معانٍ محددة تساعد على إتمامها.

### الوظيفة الثقافية للغة :

إن حضارات الأمم في الواقع تقاس بدرجة ثقافة أفرادها وبمقدار ما لديها من معالم التراث الثقافي والحضاري، والحضارة لا تخرج من كونها مجموعة من القيم والنظم، وهذه القيم والنظم التي تكون الحضارة يتمسك بها الإنسان إلى درجة الإيمان بها، ومن ثم فإن كل مجتمع يحرص على تطور قيمه ونظمه.

### الوظيفة التربوية للغة :

فتعني أن اللغة لا تدرس على أنها هدف مقصود لذاته، بل هي وسيلة لبلوغ هدف أسمى وأعظم ألا وهو تربية الأجيال وإعدادها إعداداً يتلاءم هو وظروف الحياة وتطورها. ومن الملاحظ أن تعدد وظائف اللغة يرتبط ارتباطاً وثيقاً ليس بتطور الدراسات اللغوية فحسب بل بمجالاته المختلفة وخصوصاً في العلاقات بين الدول والمجتمعات فضلاً عن تحقيق التقارب الدولي عبر أدوات ووسائل الاتصال المختلفة.

### سمات اللغة :

لكن الأهم من ذلك كله هو الإنسان لأن اللغة في الأساس وقبل كل شيء هي لغة إنسانية وما يدل على ذلك ما تتسم به من سمات أهمها:

١. أن الإنسان يستخدم الجهاز الصوتي للحديث والجهاز السمعي للاستماع إلى اللغة فالإنسان المنتفع باللغة يمتلك مهارتي التكلم والاستماع في آن واحد.

٢. اصطلاحية اللغة.

٣. لغة الإنسان تعبر عن الأشياء المحسوسة وبإمكانها أيضاً أن تعبر عن الأفكار الذهنية المجردة.

٤. الانتقال اللغوي، فاللغة البشرية المستخدمة في مجتمع معين يتوارثها الخلف عن السلف، وتنتقل من بيئة اجتماعية إلى بيئة اجتماعية أخرى.

٥. الازدواجية في التنظيم اللغوي، فالأصوات المنفردة لا معنى لها بحد ذاتها إلا عندما تتركب بشكل معين فتتولد عنها كلمات يصبح لها معنى اصطلاحي، وإذا اتصلت مع غيرها يصبح بإمكانها تأدية وسائل مختلفة.
٦. باستطاعة اللغة الإنسانية أن تشير إلى أشياء بعيدة عن المتكلم زماناً و مكاناً.
٧. مقدرة اللغة الإنسانية على الابتكار أو الإبداع.

## اللغة العربية :

- حبي المولى عز وجل اللغة العربية بوضعية قلما نجدها في اللغات الأخرى فإلى جانب أنها لغة فطرية يتواصل أصحابها بالاكْتساب والتعلم فهي لغة كتابه عز وجل والذي حفظه في اللوح المحفوظ إلى يوم الدين،
- ويتضح ذلك في اختلافها عن تلك اللغات المنتشرة المشهورة كالانجليزية والفرنسية والألمانية

## وهذا الاختلاف يتجسد في ثلاثة جوانب :

**أولها :** أن العربية لها امتداد تاريخي ليس لهذه اللغات بمعنى أنها استمرت منذ الأدب الجاهلي حتى الآن دون أن تتعرض لتغير "نوعي" كاللغات الأخرى، ولا يجد العربي المعاصر عناء في الاستجابة لأدب العرب القدماء.

**ثانياً :** أن هذه اللغة ترتبط ارتباطاً عضوياً بالإسلام، يبدأ هذا الارتباط بالقرآن الكريم ثم يمتد في الحديث الشريف، والتفسير، والفقهاء والتاريخ وغير ذلك من جوانب الحياة الإسلامية، فالإسلام يكون "النواة" الثقافية للعربية الفصيحة، ونحن حين نطلق مصطلح "العربية الفصيحة" إنما نطلقها بهذا المعنى، وهذا من أهم الجوانب التي لا بد من حسابها عند النظر في تعليمها.

**ثالثها :** أن هذه العربية الفصيحة لها تراث هائل في الدرس اللغوي لا نعرف له مثيلاً أيضاً في اللغات الأخرى، فمنذ القرن الثاني الهجري والعلماء يتلاحقون واحداً في إثر واحد يدرسون جانباً من العربية، في الأصوات، وفي الصرف، وفي النحو، وفي المعجم، فتكون لدينا هذا التراث الضخم في وصف العربية.

## بداية دراسة اللغة العربية:

- وعلى الرغم من الامتداد التاريخي للعربية منذ العصر الجاهلي فإنه لم يتفق حتى الآن بين علماء اللغة حول البداية الفعلية لدراستها والاهتمام بها في النواحي البحثية والعلمية.
- ويرى البعض أن الاهتمام بدراسة العربية بدأ ميكراً، ربما في عصر الصحابة والتابعين وتؤرخ كثير من الروايات ذلك الاهتمام بالتابعي "أبي الأسود الدؤلي" تلميذ الإمام علي رضي الله عنه، حيث تشير كثير من الروايات إلى أن الإمام وجه نظر أبي الأسود إلى الاهتمام ببعض مسائل العربية.
- وأياً ما كان الأمر فإن أبا الأسود يعد بحق مؤسس الدراسة اللغوية عند العرب.

## أهمية اللغة العربية :

وقد اعتبر كثير من العلماء أن العروبة اللسان وأن الكلام بغيرها لغير حاجة يخشى أن يورث النفاق وأبرز هؤلاء :

١. ابن تيمية الذي يقول : إن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون "اقتضاء الصراط المستقيم".

٢. كره الشافعي لمن يعرف العربية أن يتكلم بغيرها، أو يتكلم بها خالطاً لها بالعجمية، وكان يؤكد على أن كل من يقدر على تعلم العربية، فإنه ينبغي عليه أن يتعلمها، لأنها اللسان الأولى بأن يكون مرغوباً فيه.

كما اعترف كثير من المستشرقين بأهمية اللغة العربية وتميزها ومن أبرز هؤلاء :

١. يقول العلامة كارل بروكلمان : بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعاً مؤمنين بأن العربية وحدها هي اللسان الذي أحل لهم أن يتعلموه في صلواتهم. وبهذا اكتسبت العربية من زمن طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التي تنطق بها شعوب إسلامية.

٢. يقول المستشرق الفرنسي لوي ماسينيون المعروف بكتاباته المغرصة غير المنصفة عن الإسلام والمسلمين: "اللغة العربية لغة وعي، ولغة شهادة، وينبغي إنقاذها سليمة بأي ثمن للتأثير في اللغة الدولية المستقبلية، واللغة العربية بوجه خاص هي شهادة دولية يرجع تاريخها إلى ثلاثة عشر قرناً" كما أن أهميتها تنبع من كونها ذات قدرة كبيرة على تذليل الصعاب وقوة واضحة في مجابهة الحياة وأنها تتمتع بقدرة فائقة على استيعاب كل جديد من العلم والحكمة والفلسفة وأنواع المعرفة الأخرى، وهي تتمتع كذلك برسوخ في الأصول وحيوية في الفروع.

## خصائص اللغة العربية :

إن اللغة العربية لغة غنية ودقيقة تمتاز بوفرة هائلة في الصيغ وهذا ناتج عن طبيعتها التي تختلف عن أية لغة أخرى وخصوصاً وأنها من أقوى اللغات السامية الأخرى من حيث التطور شكلاً ومضموناً صوتاً وكتابة وملائمة لتطورات الواقع ويتضح ذلك من خلال الخصائص الآتية :

١. **أصوات اللغة العربية :** تستغرق كل جهاز النطق عند الإنسان وتخرج من مخارج مختلفة تبدأ بما بين الشفتين في نطق حروف كالباء والميم والفاء، وتنتهي بجوف الناطق في نطق **حروف المد :** "الألف والواو والياء التي تخرج من الصدر والحلق إلى خارج الفم".

٢. **اللغة العربية صنعت قانونها بنفسها :** فإذا تكلم ذو بيان فانك تطرب لسماعها، وتفهم بيانها، ترتاح لتبيانها.

٣. **اللغة العربية لغة مرنة :** ويظهر ذلك من طواعية الألفاظ للدلالة على المعاني وطواعية العربية تتمثل أكثر ما تتمثل في ظاهرتي الترادف والاشتقاق بصفة خاصة، وفي قدرتها على استيعاب المولد والمغرب والدخيل بصفة عامة.

٤. **قدرة العربية على الوفاء بمتطلبات العصر :** ينبغي أن ننظر إلى اللغة العربية على أنها إحدى اللغات العظمى في العالم اليوم فقد استوعبت التراث العربي والإسلامي، كما استوعبت ما نقل إليها من تراث الأمم والشعوب ذات الحضارات الضاربة في القدم كالفارسية، واليونانية، والرومانية، والمصرية .. الخ.

٥. **اللغة العربية بين التعبير الأدبي والتعبير العلمي :** اللغة العربية لغة مرنة طيعة. فيها الأسلوب الأدبي الإنساني ذو الدلالة الواسعة، وفيها الأسلوب العلمي ذو الدلالة المحدودة الصارمة.

٦. **اللغة العربية لغة كاملة :** إن الكثير من الباحثين اللغويين يرى أنه لا توجد لغة جامدة أو قاصرة أو "بدائية" وإنما يوجد قوم "بدائيون" أو جامدون، فاللغة أية لغة - فضلاً عن أن تكون العربية قادرة دائماً على التطور والنمو واستنباط المفردات والتراكيب التي تلائم الحاجات الجديدة والمخترعات الجديدة لدى أهلها. فإذا لم يكن لدى أهلها حاجة إلى اختراعات جديدة أو استعمالات جديدة، فإن اللغة تبقى كما هي، وعلى هذا فعدم نمو اللغة - أية لغة - ليس القصور في طبيعتها أو ذاتها، وإنما لقصور وجمود أهلها.

### تميزها عن بقية اللغات :

تميزت العربية عن بقية اللغات بميزات في ألفاظها وقواعدها وتراكيبها في الآتي :

١. أشار الباحثون إلى أنها أكثر اللغات اختصاصاً بالأصوات السامية ، فقد اشتملت على الأصوات جميعها وزادت عليها أصواتاً كثيرة لا وجود لها في اللغات الأخرى، مثل أصوات (التاء والذال والظاء والغين والضاد).
٢. تميزت بأنها أوسع اللغات وأدقها في قواعد النحو والصرف، وأنها تمتلك ثروة هائلة في أصول الكلمات والمفردات.
٣. تتميز بخصائص ربما تنفرد بها ومنها (الإعراب والغنى بالمفردات والتراكيب والمفاهيم والإيجاز والشمول والدقة والموسيقية).

ومن الملاحظ أن ذلك يدل على احتفاظ اللغة العربية بمقومات اللسان السامي الأول دون منازع فضلاً عن النواحي الإعرابية والسمات الأسلوبية، بالإضافة إلى تفوقها في أصول المفردات والكلمات من حيث الوفرة.

### وظائف اللغة العربية :

إن اللغة العربية بهذا التميز وبهذا الرصيد التاريخي والواقعي لم يكتب لها النجاح لولا الوظائف المتعددة التي تقوم بها هذه اللغة وأهمها :

١. أنها وسيلة الإنسان العربي في التفكير فنحن عندما نفكر نستخدم الألفاظ والجمل والتراكيب العربية في كلامنا وكتابتنا، وبمعنى آخر إن تفكيرنا حديث عربي صامت وحديثنا تفكير عربي صائب.
٢. أنها تحمل مبادئ الإسلام السليمة بحكم أنها لغة القرآن الكريم .
٣. إنها تعمل على تأصيل العقيدة الإسلامية فهي تحمل إلى المتكلمين بها هدى القرآن وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوالب رصينة محكمة، فالعلاقة وثيقة جداً بين العربية والعقيدة الإسلامية.
٤. إنها مقوم من مقومات الأمة العربية الواحدة، فهي توثق شخصية الأمة، وتؤكد هويتها وتشكل أداة للاتصال بين أبناء هذه الأمة.
٥. إن العربية لا تدرس ولا تعلم لذاتها بل هي وسيلة المتعلمين جميعهم لتعلم سائر المواد الأخرى.
٦. إنها الوسيلة المثلى لحفظ التراث الثقافي العربي،

٧. وأهم وظيفة يمكن أن تقوم به العربية وتؤديها خير تادية هي الوظيفة الحضارية الإنسانية تلك الوظيفة التي مهدت لحضارة الإسلام أن تعم آفاق الدنيا حيث جمعت الحضارة كل الأعراق والأجناس وبالتالي صارت مقوماً من مقومات الأمة الإسلامية التي هي أكثر شمولاً من الأمة العربية فضلاً عن كونها إنسانية لأنها تخاطب الإنسان في فكره ووجدانه وبالتالي فهي متصالحة مع هذا الإنسان مادام الإنسان يتقوى بها لغة .... وثقافة وسلوكاً وأدباً.

## اللغة العربية .. الموقع الاستراتيجي في التدافع الحضاري :

- إن اللغة العربية باعتبارها وعاء للثقافة العربية وللحضارة الإسلامية فإنها تواجه أخطارا تتفاقم باطراد تأتي من هيمنة النظام العالمي الذي يرفض صياغة العالم الجديد وفق خصوصيات الشعوب وثقافتها وأعرافها وتقاليدها.
- وإن موقع اللغة العربية في الصدارة من الهوية للدفاع عن الأمة، فما اللغة إلا وعاء الفكر الذي يصنع طرائق المواجهة، بالتكيف حيناً، وبالتصلب حيناً.
- وبالرغم من وسائل التهجين والتدجين لهذه اللغة فإنها استعصت على التدجين والموت، لأنها اللغة الوحيدة للوحي الإلهي الباقي على ظهر الأرض، وبقاؤها هو إكسير الحياة للأمة، والمجدد الدائب لطاقتها الأدبية والمادية
- يقول العلامة الجزائري الشيخ محمد البشير الإبراهيمي - مخاطبا الجزائريين الذين عمل الاستعمار الفرنسي بكل الوسائل على جعلها غريبة في الأفواه سمجة على الألسنة منكورة في القلوب و الأفئدة - : "لو لم تكن اللغة العربية لغة مدنية وعمران، ولو لم تكن لغة متسعة الأفاق غنية بالمفردات و التراكيب، لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا إليها علوم اليونان وآداب فارس والهند، ولألزمتهم الحاجة إلى تلك العلوم تعليم تلك اللغات، ولو فعلوا لأصبحوا عربا بعقول فارسية وأدمغة يونانية، ولو وقع ذلك لتغير مجرى التاريخ الإسلامي برُمته .
- لو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية لما وسعت علوم العالم، وما العالم إذ ذاك إلا هذه الأمم التي نقل عنها المسلمون
- قامت اللغة العربية في أقل من نصف قرن بترجمة علوم هذه الأمم ونظمها الاجتماعية وآدابها فوحت الفلسفة بجميع فروعها، والرياضيات بجميع أصنافها، والطب والهندسة والآداب والاجتماع، وهذه هي العلوم التي تقوم عليها الحضارة العقلية في الأمم الغابرة و الحاضرة .
- واللغة العربية هي التي أفضلت على علماء الإسلام بكنوزها ودقائقها وأسرارها، وأمدتهم بتلك الثروة الهائلة من المصطلحات العلمية و الفنية التي تعجز أية لغة من لغات العالم عن إحضارها بدون استعانة واستعارة ، فبحثوا في كل علم وبحثوا في كل فن ومألوا الدنيا مؤلفات ودواوين
- ومن هنا ندرك أن الحديث لإصلاح وضع اللغة في المنظومة المعرفية للأمة ليس ترفا فكريا بقدر ما هو حديث عن بناء حضاري متكامل باعتبارها جزءا جوهريا في مشروع التجديد والإصلاح و التمهيد للنهضة المرجوة ، ولا يمكن أن تحصل نهضة حقيقية بغير نهضة لغوية متزامنة مع المشروع كله ، وخادمة له ، سواء من ذلك ما يتعلق بتأصيل الفهم و التلقي للخطاب اللغوي من الوحي خصوصا ، و التراث العلمي الإسلامي عموما ، أو ما تعلق بالبلاغ و التواصل التعبيري المرتبط بالمفاهيم المكونة لهوية الأمة على الإجمال .
- و اللغة العربية لم تكن يوما نافلة في مجال التدافع الحضاري، وساحة الصراع الإيديولوجي إلا عند من لا يفقه سنن المغالبة بين الأمم والشعوب، بل كانت و لا تزال من أهم مواقع الصراع الفكري، ومن أخطر أسلحة الاحتواء الإستراتيجي لثقافات الشعوب و تميعها لإخراجها عن طبيعتها وصبغتها.
- ولا بد أن ندرك أن تفعيل الثقافة رهن بتطور اللغة، ونمو اللغة يعكس القيم الثقافية للمجتمع الذي يتكلمها، وهما مقياس لإمكانيته وقدراته، وكيف نعرف هذه القيم عندما تختفي دلالات اللغة، وتغيب معانيها ومراميتها وإشاراتنا في حديث الناس وبرامج الإعلام وإعلانات الشركة وأسماء المحال ويفطات الإشهار .

## اختراق الهوية ... وصدمة العولمة :

- التحدي الذي يواجه الهوية اللغوية في عصر الصدمة العولمية مرده إلى الشعور المبالغ فيه بأهمية اللغة الأجنبية، الناتج غالبا عن الانبهار بكل ما هو أجنبي، و الظن الزائف بأن التقدم لا يأتي إلا عن طريق إتقان اللغة الأجنبية للجميع، بل و التحدث بها بين العرب أنفسهم

- ويمكن أن نحصر مظاهر الصدمة العولمية في ميدان اللغة في العالم العربي في ثلاث مستويات :

المستوى الأول : هو المستوى الشعبي حيث :

- ١ - التداول بالإنجليزية في الحياة اليومية
- ٢ - كتابة لافتات المحلات التجارية
- ٣ - كتابة الإعلانات و الإشهارات
- ٤ - كتابة قوائم الطعام في المطاعم

المستوى الثاني : المستوى التقني :

في عصر الرقمنة المتطورة حيث أن مشكلة الإنسان العربي المعاصر تكمن في أنه لا يستطيع أن يستورد حلولاً للتغلب على كثير من التحديات: فلن يُترجم له العالم الخارجي المعارف إلى العربية، ولن يقترح له برامج إصلاح لغته، أو وسائل صنع المعارف بها.

التحدي الأول : لغة بلا ذخيرة معرفية! يعيش العالم العربي في كوكب آخر بعيد كلياً عن مشاريع بناء الذخائر الرقمية المعرفية التي أضحت مركز العلم والمعرفة في عالم اليوم!... في كل المجالات العلمية والتقنية، وفي معظم الحقول الثقافية والعملية، تمتلك اللغات (عدا العربية) اليوم قاعدةً تحتيةً معرفيةً رقميةً متعدّدة الوسائط. دخلت صناعة المعارف فيها سباقاً يومياً

التحدي الثاني : لغة تعاني من أنيميا الترجمة! : كثير من عيون الكتب العالمية لم تر النور بعد بالعربية! معظم أمهات الكتب الحديثة التي تشكّل نبراس الحضارة المعاصرة غير معروفة بالعربية التي كانت، في العصر العباسي، لغة الحضارة الكونية بفضل حملة الترجمة الواسعة إليها للكتب الأجنبية في شتى المجالات من فلسفة ومنطق وطب وفلك ورياضيات وأدب، من مختلف اللغات الإغريقية والسريانية والفارسية والسنسكريتية والحيشية... التي أغنتها بروافد فكرية وكلمات ومصطلحات كثيرة.

التحدي الثالث : لغة لم تكمل بعد بنائها الرقمي! : حيث لا يوجد حتى اليوم قارئ ضوئي آلي لأحرف اللغة العربية يستحق أن يحمل هذا الاسم، رغم امتلاك اللغة الفارسية ذات الأحرف الشبيهة لذلك القارئ الضوئي! يُشكّل عدم تصميم برمجة قارئ ضوئي عربي حتى الآن عائقاً كبيراً يمنع دخولها عصر الرقمنة .

- وتفنقر العربية أيضاً إلى برمجيات كمبيوترية مناسبة لتصحيح نصوصها قبل وضعها على الإنترنت وللبحث عنها فيه. الموضوع خطير في الحقيقة لأن صفحات الإنترنت بالعربية (لاسيما منتديات الدردشة والحوارات، وصفحات الأخبار والتعليقات العامة على الأحداث اليومية والكتابات...) ملطخة بأدغال وأعداد فلكية من الأخطاء اللغوية والإملائية التي لا تخطر ببال.

- ويكفي معرفة أن عدد الكتب التي رقمناها مشروع قوقل، في عام ٢٠٠٧ فقط، مليون كتاباً، في حين أن «مشروع الذخيرة العربية»، التي تدعمها الجامعة العربية بميزانية خاصة منذ ١٩٧٥، لم يُرقم حتى الآن إلا ٢٣٠ كتاباً.

المستوى الثالث : هو مستوى الخطاب الرسمي :

- لأن الخطاب فيه من أقوى المؤثرات في وسائل الإعلام الحديثة، وربما في كل العصور وفي جميع البلدان ، فالمسئول مهما كانت صفته ومرتبته يؤثر على سامعيه ومشاهديه بنطقه وصوته وفصاحته إذا تفصح ولحنه إذا لحن.

- وبعض الرسميين يجهلون العربية، فراحوا يخاطبون الناس بلحن فاحش ، وأخطاء لا يقع فيها حتى فتيان المدارس، وبأسلوب لا يساعد على التأثير في المتلقي مهما بذلوا من جهد ومهما أحاطوا أنفسهم بوسائل الإعلام التي يصنعون بها هالة لأنفسهم وفي آخر المطاف يخرج خطابهم مشوش الأداء ، مضطرب المعاني ، ممسوخ الألفاظ ، فلا يؤثر في سامع أو متابع. والمفترض في أصحاب الخطاب الرسمي أنهم حماة الديار والتراث والأوصياء على الأخلاق والقيم، وأيضاً هم القدوة الحسنة للشباب والموظفين ورجال الإعلام فيما يتعلق باللغة العربية.

١. اللغة العربية تحتاج إلى مراجعة مستمرة تستهدف اكتشاف التحولات التي تطرأ على برامجها وأنظمتها المختلفة بهدف رصد استجاباتها ، واتخاذ التدابير اللسانية الكفيلة بمواجهة المخاطر التي تجابهها .
  ٢. وضع مشروع متكامل يضع في الاعتبار مطالبة الأجيال الحاضرة بالالتزام بالحد الأدنى من أساليب اللغة وجمالياتها، مع بذل الجهد المتواصل لملاحقة التطورات التقنية، وإيجاد خطط عملية ممكنة وقادرة على مواجهة المخاطر المحدقة لنثبت أن اللغة العربية.
  ٣. ولوج عالم الفضائيات بثقل لغوي يصنع اللسان القويم، وينشئ الإحساس بالعزة عند التحدث بالعربية، فقد باتت الفضائيات اليوم مكوّنا أساسيا من مكونات قوى التحول اللغوية التي تملك القدرة على فرض استجابات وتوجهات في عقول المشاهدين وسلوكهم ومواقفهم ، كما أن لها دورا تخريبيا يكمن في ما تفرضه على برامج .... المشاهدين اللغوية والفكرية من أنماط لغوية .
  ٤. إبطال المغالطة التي ترى أن العربية عاجزة عن إبرام العقود والصفقات والإشهارات الترويجية، ذلك أن الانحياز للاقتصاد المطلق للإنجليزية بوصفها لغة تداولية وإقصاء العربية يتضمن تبعية شاملة تؤذن بخراب العمران اللغوي وتبشر بالتبعية والاعتراب .
  ٥. دعوة وزارة التربية والتعليم في كل بلد عربي للعمل على تعميم فكرة إنشاء مدارس ابتدائية تعتمد فيها اللغة العربية لغة وحيدة للتواصل في هذه المدرسة دون أي استخدام للعامية طوال اليوم المدرسي ، داخل الصف وخارجه .
  ٦. أن ثمة ربطا مطردا بين تقدم اللسانيات الحاسوبية العربية ومنجزاتها وتقدم العربية وتهبئتها لمستقبل أفضل، وذلك أن تعريب الحاسوب وملحقاته ومعداته سيكفل توفير برامج عربية صالحة لبناء مجتمع المعرفة المنشود ، ويظهر أن هناك عوامل تجعل من هذا التعريب قضية مصيرية وتسهل تعميمه، **منها:**
- أ- استخدام كثير من الشعوب للحرف العربي (باكستان - إيران...)
- ب - النشر الإلكتروني باللغة العربية.
- ج - الإفادة مما تزرخ به الشبكة العالمية من مواقع لتعليم اللغة الإنجليزية وتعلمها للناطقين بها وللأجانب، وتطوير مواقع مشابهة لخدمة اللغة العربية وتعليمها .
- د - نشر العربية في الخارج وذلك بافتتاح المدارس العربية التي تعتني بتدريس العربية والثقافة الإسلامية، وشد الجاليات المسلمة إلى التراث العربي، وتقديم المنح للطلبة الراغبين في تعلم العربية ونشرها.
- هـ - اشتراط إتقان اللغة العربية للعمالة الوافدة إلى البلدان العربية وخاصة بلدان الخليج العربي التي أصبح الهندي فيها مثلاً يغضب منك لأنك لا تفهم لغته الهندية .
- و- اشتراط ترجمة كل ما يكتب على البضائع المستوردة إلى اللغة العربية، وعدّ هذا المطلب شرطا للتعامل التجاري مع الشركات و الدول المصدرة.

## الأسس العلمية لبناء منهج تعلم اللغة العربية :

١. يجب أن يراعى هذا المنهج التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، مع الاهتمام ببيان مركز الإنسان في الكون ووظيفته في الحياة.
٢. يجب أن يراعى في بنائه أيضاً طبيعة التلميذ في كل مرحلة، ومتطلبات نموه العقلي والنفسي والجسمي والاجتماعي، وكيف تسهم اللغة في عملية التنمية الشاملة المتكاملة لشخصية المتعلم وتكوين سمات الإنسان الصالح فيه.
٣. يجب أن يراعى المنهج أيضاً منطق مادة اللغة العربية وخصائصها التي لا بد من أخذها في عملية التعلم، و وظائفها التي لا بد من العمل على تحقيقها.

## كيف نحافظ على اللغة العربية بين الطلاب ؟

- لا شك أن اللغة العربية هي قلب الهوية القومية والوطنية وروح هذه الأمة .. والولاء لهذه اللغة يأتي من باب الانتماء لهذه الأرض وثقافتها ولغتها لغة القرآن الكريم فهي لغة حضارة ولسان مشترك يجمع بين أكثر من مليار مسلم في شتى أنحاء الكرة الأرضية .. ولغتنا اليوم تمر بمرحلة غاية في الخطورة بهدف تهميشها والتقليل منها رغم أنها لغة الإبداع والابتكار والتطور والاختراع.
- وما يحدث اليوم للغة العربية هو نفس المخطط بل أخطر مما حدث في أيام الاستعمار خاصة بعد أن تحول التعليم في المدارس والجامعات إلى اللغة الإنجليزية.
- إن عولمة الثقافة وسيادة اللغة الإنجليزية أكثر خطورة على اللغة العربية والهوية الوطنية من الاستعمار وأن استمرار مثل هذا الوضع الذي نعيشه على مدى ٥٠ عاما سيؤدي إلى موت اللغة العربية.
- إن توسيع مصادر تعلم اللغة العربية لتتجاوز الصف والكتاب المدرسي هو السبيل الوحيد لتطوير مهارات الطالب في الاستماع والحديث بالعربية المعاصرة، فضلا عن أن الكتاب المدرسي يجب أن يتخطى الشكل الورقي البحث ويستفيد من إمكانيات ثقافة الصورة والحاسوب.
- وقد يسارع البعض إلى طريق فاشل كما حدث في مصر إلى زيادة ساعات تدريس النحو باعتباره المفتاح السحري، وأزعم أن طرق تدريس النحو العربي هي من أكبر العوائق التي تحول بين الطالب وبين تعلم العربية.
- إن إعداد مقررات اللغة العربية لغير المتخصصين بها هو الوسيلة الحقيقية لإبقاء صلة الطالب الجامعي باللغة العربية وإكسابه المهارات الأساسية .
- إن تعلم لغة أجنبية وإجادتها ضرورة في عصرنا ولكن هذا لا ينبغي أن يتم على حساب اللغة القومية التي يجب أن تدرس بها غالبية المقررات الجامعية في مجال الإنسانيات، وما لا يقل عن ثلث المقررات في المجالات الأخرى .. إن تدريس غالبية المقررات الجامعية باللغة الإنجليزية يقطع صلة الطالب بلغته العربية ويفقده ما اكتسبه خلال مرحلة ما قبل الجامعة.

## الطلبة العرب ودورهم في الحفاظ على الثقافة العربية :

### ومما يجب لهم من حقوق ما يلي :

١. التنشئة السليمة من الأهل منذ الصغر على حب وتعظيم الثقافة العربية.
٢. توفير كافة الوسائل التعليمية والإرشادية لهم وإتاحتها دون.
٣. وضع مناهج دراسية وطرق تعليمية تعطي للطلبة الفرصة للتزود بالمعرفة خارج نطاق المنهج الدراسي المقرر.
٤. إضافة مناهج لتدريس اللغة العربية على كافة الكليات بما فيها الكليات العملية والتي تعتمد فيها الدراسة على لغات أخرى كالإنجليزية.
٥. إقامة ندوات وورش عمل لتثقيف الطلبة وزيادة وعيهم بالثقافة العربية.
٦. تشجيع إقامة الأنشطة التي تحفز الطلبة على صقل معارفهم ومهاراتهم اللغوية والثقافية.

### ومما يجب على الطلبة أن يفعلوه ما يلي :

١. تنظيم أوقاتهم بما يسمح لهم بزيارة المكتبات والتزود بالمعرفة الضرورية لهم.
٢. الابتعاد عن وسائل الإعلام الضارة والتي تؤدي آثارها إلى الإخلال بالمجتمع ككل.
٣. المشاركة في الأنشطة التي تساعد على تنمية ثقافتهم الشخصية.
٤. الاعتزاز باللغة العربية وعدم استخدام لغات أخرى في الحديث إلا للضرورة.

## العنصرية و القومية

### اولا : العنصرية

#### تعريف العنصرية

العُنْصُرية الاعتقاد بأن أعضاء جنس أو سلالة أو مجموعة من السلالات أعلى أو أدنى درجة من أعضاء السلالات الأخرى.

ويسمى الناس الذين يعتقدون أو يمارسون ما يوحي بتفوق سلالة على أخرى عنصريين، فهم يدعون أن أعضاء سلالتهم أعلى شأنًا في النواحي العقلية والأخلاقية أو الثقافية من أفراد السلالات الأخرى.

ولأن العنصريين يفترضون أنهم أرفع مقامًا، لذلك فإنهم يعتقدون بأنهم يستحقون حقوقًا وامتيازات خاصة.

والجماعات، كالأفراد، يختلف بعضها عن بعض. إلا أنه لا يوجد دليل علمي يساند دعاوى التفوق. ويؤكد باحثو علم الاجتماع بأنه لا توجد جماعتان لهما بيئتان متماثلتان في جميع النواحي، ومن هنا فإن كثيرًا من الاختلافات التي توجد بين الجماعات ترجع بالدرجة الأولى إلى اختلاف البيئات المختلفة.

وقد ناقش العلماء طويلاً الأهمية النسبية للوراثة والبيئة في تحديد هذه الاختلافات، لكن معظم الباحثين يعتقدون أن الوراثة والبيئة تتفاعلان بطرق معقدة متشابكة.

وبالرغم من عدم وجود دليل علمي يُساند الدعاوى العنصرية، فإن العنصرية واسعة الانتشار وسببت الكثير من المشكلات الرئيسية مستخدمة دعاوى التفوق والنقص العنصريين لتبرير التمييز العنصري والفصل الاجتماعي والنزعة الاستعمارية، وحتى الإبادة الجماعية (القتل الجماعي) في بعض الأحيان.

والعنصرية هي أحد أشكال التحيز، لذلك فإننا نجد كثيرًا من الناس يميلون إلى اعتبار مظهرهم وسلوكهم النموذج الطبيعي للمظهر والسلوك، فهو على ذلك النموذج المطلوب، وقد يرتابون في الناس الذين يتصرفون بطريقة مغايرة أو يخشونهم. وعندما تكون الاختلافات واضحة، كذلك التي في لون البشرة أو العبادات الدينية، يصبح الارتياح كبيرًا جدًا وهكذا، يُمكن أن تؤدي مثل هذه المواقف والاتجاهات إلى الاعتقاد بأن الذين يتصرفون على نحو مغاير هم أدنى منهم.

وفي البلدان التي يشكّل فيها البيض الأكثرية، توجه العنصرية بصفة عامة ضد جماعات الأقليات السلالية أو العرقية، مثل والهنود الأمريكيين والأمريكيين المكسيكيين وسكان أستراليا الأصليين والآسيويين. وقد تعرّضت هذه الأقليات للتعصب والتمييز في المجالات المختلفة مثل الإسكان والتعليم والتوظيف.

سيطرت أقلية بيضاء في جنوب إفريقيا على الحكم لسنوات طويلة، وفرضت قوانين عنصرية في مجالات الإسكان والتعليم والتوظيف كان لها تأثيرها على الغالبية العظمى من غير البيض. وهي السياسة المعروفة باسم سياسة التفرقة العنصرية (الأبارتيد).

#### أنواع العنصرية وتقسيماتها:

هناك تقسيمات وأنواع متعددة للعنصرية

## أولاً: العنصرية الفردية والعنصرية المنظمة.

يُميز علماء الاجتماع دائماً بين العنصرية الفردية والعنصرية المنظمة.

- أ - **العنصرية الفردية**: وتشير بصفة أساسية إلى المعتقدات التحيزية والتصرفات التمييزية التي يمارسها الأفراد البيض ضد السود وجماعات الأقليات الأخرى. والواقع أن هذه العنصرية الفردية تنبني أساساً على فرضيات عنصرية تتعلق بادعاءات التفوق والدونية.
- ب - أما **العنصرية المنظمة**، فتشير إلى التمييز الذي تمارسه المجتمعات والمدارس والمؤسسات التجارية وغير ذلك من الجماعات والمُنظمات التي تحد الفرص أمام جماعات الأقلية.

## ثانياً: العنصرية على أساس عرقي أو لوني أو ديني:

- أ - **على أساس اللون**: التمييز العنصري في أمريكا ضد السود واللاتينيين، وفي جنوب إفريقيا ضد السود من قبل البيض. (مثل جماعات **كو كلوكس كلان**) في أمريكا، والأبارتايد في جنوب إفريقيا.
- ب - **العنصرية على أساس العرق**: ويعتبر الرائد الأكبر للنظرية العنصرية هو "**أرنودي جوبينو**" (١٨١٦-١٨٨٢) الذي وضع مؤلفاً بعنوان: "بحث في عدم التساوي بين الأجناس البشرية" في عام (١٨٥٣)، وتتلخص نظريته في أن "الاختلاط بين الأجناس الراقية والأجناس السفلى هو السبب الرئيسي في تدهور حضارات أوروبا السابقة". وقد انتشرت هذه المدرسة العنصرية في معظم الدول الأوروبية، وكان فكره هو الأرضية المشتركة الأساسية التي قامت عليها النظرية العنصرية للفكر النازي في ألمانيا باعتراف "**هتلر**".
- ت - **العنصرية على أساس الدين**: بدأت التفرقة العنصرية على أساس ديانة الأفراد تأخذ مفهومها المعروف مع بداية الحرب الصليبية الأولى (١٠٩٦ - ١٠٩٩ م). ولكنها مازالت بيننا حتى الآن للأسف.

فما نشهده حالياً من مشاعر الكراهية والعداء ضد الإسلام في أوروبا وأمريكا إنما يعكس أكبر قدر من التفرقة العنصرية بين المسلمين والمسيحيين .

ما حدث في فرنسا من منع حجاب السيدات وفي بريطانيا وأمريكا من مشاعر بغض ضد المسلمين علي أراضيها . وفي إيطاليا من الدعوات المستمرة لطرد المسلمين من الأراضي الإيطالية ما هي إلا مظاهر تفرقة عنصرية منظمة ضد الإسلام .

إودعوة الرئيس الأمريكي "**جورج بوش**" عام ٢٠٠١ بعد اعتداءات سبتمبر الي بداية حرب صليبية اخري ضد الاسلام في قوله ( اني اصلي للرب، وهو من دعاني إلى هذه الحرب) ما هو الا اكمال لخطبة البابا "**اوربان الثاني**" عام ١٠٩٦ م

## ثالثاً: الصهيونية: عنصرية على أساس ديني وعرقي :

فهي حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله. واشتقت الصهيونية من اسم (جبل صهيون) في القدس حيث تطمح الصهيونية أن تشيد فيها هيكل سليمان، وتقيم مملكة لها تكون القدس عاصمتها. ارتبطت الحركة الصهيونية بشخصية اليهودي النمساوي "**هرتزل**" الذي يعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم.

تستمد الصهيونية فكرها ومعتقداتها من الكتب المقدسة التي حرفها اليهود، وقد صاغت الصهيونية فكرها في "**بروتوكولات حكماء صهيون**".

وجدت أشكال العنصرية منذ بدايات التاريخ. فقد استُعبِد الإغريق القدماء والرومان الشعوب التي اعتبروها أدنى منهم. وظل الصينيون لمئات من السنين بعد رحلات ماركو بولو إلى الصين في القرن الثالث عشر الميلادي، ينظرون إلى الغربيين على أنهم بيض همج كثيفو الشعر.

وتمكن الأوروبيون في القرن ١٨ وحتى أوائل القرن ٢٠ الميلاديين من فرض سيطرتهم على أجزاء كبيرة من آسيا وإفريقيا. وبرر هؤلاء المستعمرون سيطرتهم على أساس أن السلالات ذات البشرة السوداء والسمراء والصفراء لا بد من تمدينهم بواسطة البيض المتفوقين.

وفي كل مكان من الإمبراطورية البريطانية، كان الزعم الزائف بتفوق البيض يتغلغل في معظم مجالات الحياة. كما نظر المستوطنون البيض في أستراليا، إلى السكان الأصليين على أنهم أدنى مرتبة.

وضع كثير من البيض في الولايات المتحدة، منذ القرن ١٧ وحتى منتصف القرن ١٩ الميلاديين، كثيراً من السود تحت نير الاسترقاق الذي كان سبباً رئيسياً في قيام الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥م). ومع أن تحرير الرق تم خلال ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي، فإن العزل الاجتماعي والتمييز العنصري ظلا مستمرين ضد السود.

وقد سنت قوانين لمقاومة العنصرية والتأكيد على المساواة في الفرص في بعض المجتمعات المتعددة السلالات والجنسيات، منعت هذه القوانين التمييز على أساس اللون والجنس أو القومية أو الأصل العرقي فيما يتعلق بمجالات توفير السلع والخدمات والتوظيف والتعليم. كما منعت القوانين الجنائية التَّحْرِيز على الكراهية العنصرية.

وتعتبر إبادة الجنس أعظم الآثار المتطرفة المترتبة على الكراهية العنصرية. ولقد فعل ذلك الصرب حين أعلنت جمهورية البوسنة والهرسك استقلالها عن يوغوسلافيا السابقة فوجد أهالي البوسنة جميع أنواع الإبادة الجماعية والفردية بذريعة تطهير العرق، فقتل من جراء ذلك آلاف البوسنيين، وشرد كثيرون من وطنهم تحت سمع وبصر الاتحاد الأوروبي.

وقد مضى زمن طويل والفلسطينيون يرزحون تحت الغطرسة الصهيونية التي ترى أن جنسها هو الجنس المختار فقتلت وعذبت وصادرت وانتهكت الحرمات تحت سمع العالم وبصره. وتبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها التاريخي باعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري عام ١٩٧٤م. وعملت الأمم المتحدة على تنظيم المؤتمر العالمي لمناهضة العنصرية والتمييز العنصري.

## ثانياً: القومية

### تعريف القومية:

القومية تعبير سياسي يعني شعور الناس بالانتماء جميعاً إلى أمة واحدة، ويشمل هذا الشعور كذلك الإحساس بالولاء للأمة والاعتزاز بثقافتها وتاريخها - وفي العديد من الحالات - الرغبة في الاستقلال الوطني.

القومية فكرة وضعية نشأت أول ما نشأت في البلاد الأوروبية شأن غيرها من الحركات والأفكار التي تبحث عن النقلة من رابطة الدين ويلاحظ أن دعائها قد اختلفوا في المفهوم الصحيح لها هل هي بمعنى تجمع أمة من الناس وارتباط بعضهم ببعض هدفاً وسلوكاً وغاية. إما لانتمائهم إلى لغة واحدة - كما يرى القوميون الألمان - وإما لانضوائهم في عيشة مشتركة - كما يرى القوميون الفرنسيون - أم أنها لكليهما. أو أنها لغير ذلك من أمور سياسية واقتصادية كالاشتراك في المعيشة الاقتصادية كما يرى الماركسيون أو الاشتراك في التاريخ واللغة في البلد الواحد كما يرى كثير من دعاة القومية العربية.

## نشأة القومية :

ظهرت القومية مع تطور وحدة سياسية تدعى الدولة القومية (الدولة - الأمة)، فالأمة مجموعة من الناس يتقاسمون ثقافة وتاريخاً ولغة مشتركة ولهم شعور بالوحدة القومية.

أما الدولة فهي قطعة من الأرض لسكانها حكومة مستقلة. وتوجد الدولة القومية إذا كانت للأمة والدولة الحدود نفسها. بدأت الدولة القومية في التطور أواخر العصور الوسطى الأوروبية.

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، أصبحت القومية قوة مهمة في العلاقات الدولية. وقد ساعد الشعور بالقومية - لاسيما رغبة كل دولة في تسيير شؤونها ذاتياً - على تغيير خريطة أوروبا عدة مرات منذ القرن ١٩ الميلادي. ومنذ أواخر أربعينيات القرن ٢٠ الميلادي، حولت القومية آسيا وإفريقيا كذلك.

ومنذ بداية القرن العشرين الميلادي نشطت الحركة القومية العربية في بلاد الشام، وذلك في محاولة للوقوف في وجه محاولات التتريك العثمانية وتحقيق الحرية والاستقلال.

وفي الخمسينيات من القرن ٢٠ الميلادي نشطت حركة القومية العربية من جديد حيث حاولت مصر بقيادة جمال عبد الناصر العمل على تحقيق الوحدة العربية اعتماداً على التاريخ المشترك بين الدول العربية واللغة والدين والثقافة، إلا أن الظروف السياسية والاقتصادية ومحاولات الدول الكبرى وسعيها في عدم إتمام هذا المشروع القومي الكبير حال دون تحقيق ذلك.

## مختلف أشكال القومية :

تطورت فيما بعد في مختلف أرجاء العالم. ففي الولايات المتحدة مثلاً، عبّرت روح القومية عن نفسها في توسعها السريع نحو الغرب خلال القرن ١٩ الميلادي. واقتنع العديد من الأمريكيين أن لأمتهم مصيراً ظاهراً، يستوجب تولي أمريكا الشمالية بأكملها.

أما في أوروبا الغربية، فقد وُجِدَ الشعور الجديد بالقومية إيطاليا وألمانيا بعد ذلك، بعد أن كانتا منقسمتين إلى عدة دويلات. اندمج كل من هذين الشعبين لتكوين دولة واحدة من تلك الدويلات. تم توحيد إيطاليا عام 1870 م، وأصبحت ألمانيا دولة قومية عام ١٨٧١ م.

حاولت مجموعات قومية في أوروبا الشرقية إنشاء دويلات صغيرة من إمبراطورية النمسا - المجر والإمبراطورية الروسية والدولة العثمانية. عملت مطالب تقرير المصير القومي على قيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ م - ١٩١٨ م)، وقسمت الإمبراطوريات بعد الحرب.

وخلال ثلاثينيات القرن العشرين الميلادي، استعمل **هتلر الألماني و موسوليني الإيطالي** القومية في طلب الولاء المفرط من شعبيهما. لقد عزّزا القومية المطلقة، وهي الاعتقاد بأن عددًا من الجنسيات أرقى من جميع الجنسيات الأخرى. بعد الحرب العالمية الثانية، أدت القومية بالعديد من المستعمرات الإفريقية والآسيوية إلى المطالبة بالاستقلال وحق تقرير المصير. نالت الهند و باكستان استقلالهما عن بريطانيا عام ١٩٤٧ م.

وخلال السبعينيات من القرن العشرين الميلادي، استقلت أكثر من ثمانين دولة أخرى، إلا أن أكثرها كانت تفتقر إلى تاريخ التجارب المشتركة الطويل الذي وُجِدَ القومية في أوروبا، لكن زعماءها شجعوا القومية من أجل مساعدة تنمية الوحدة القومية.

مذهب سياسي فكري في العصر الحديث نادى بتقوية الشعور القومي العربي من المحيط إلى الخليج، ونتجت عنه هيئات دولية مثل جامعة الدول العربية وأحزاب سياسية عربية وجمعيات مختلفة في معظم الدول العربية، شكّلت حركة شعبية على مستوى الدول، خصوصاً بعد أن دعم هذا المذهب وروّجه إعلامياً وسياسياً الرئيس المصري الراحل **جمال عبد الناصر**.

توزعت هذه الحركة السياسية الفكرية بين مؤيدين ومعارضين. فالمؤيدون رأوا فيها نهضة بالأمة العربية وفرصة لتقوية الانتماء العربي، وعاملاً مهماً من عوامل سد ثغرات التفرق والشتات، وعاملاً من عوامل انصهار الجنس الواحد داخل أيديولوجية فكرية موحدة تنصدر صنع القرارات وتؤجّه مسار الأمة.

كما أن هذه الحركة تهدف إلى تحقيق استقلال الشعب العربي استقلالاً تاماً، وبعث الحضارة العربية وتحقيق أكبر قدر من الوحدة والتماسك بين أبناء العروبة التي تشكل في النهاية مستقبل الأمة العربية.

أما المعارضون - على المستوى النظري التطبيقي - فقد رأوا أن هذه القومية تأتي على حساب رابطة الدين، وتقوم بإحلال النظم الوضعية محل النظم السماوية، أو بمعنى آخر استبدال روابط الدم والقربى والعرق بالدين، كما رأوا أن هذه الحركة، وما ينطوي تحتها من تعاليم وشخصيات بارزة، تُروّج الفكر الأوروبي العلماني على حساب الفكر الإسلامي الموروث، وأن هذه الحركة شكل من أشكال الغزو الثقافي الغربي، وما هي إلا ردّ فعل للدعوات القومية التي نادى بها الغرب والتي تريد تحيية الدين عن واقع الحياة.

في بدايات القرن ٢٠ الميلادي ازداد نشاط القومية العربية، وازداد أكثر بعد ظهور دولة إسرائيل على الساحة باحتلالها فلسطين عام ١٩٤٨م.

ويقدر بعض خبراء السياسة العالمية أن القومية العربية ما هي الا جزء من القومية الغربية غير أن القوميات الغربية بنت أفكارها على أساس العنصرية والاستعلاء وزيادة النفوذ واستعمار الشعوب الضعيفة.

وخلاصة هذا الفكر القومي أن اللغة والدم والتاريخ والأرض والهموم العامة المشتركة هي أشياء موجودة قبل الرسل **محمد<sup>3</sup> وموسى وعيسى عليهم السلام**، لذا فإن الأولى - من وجهة نظر القوميين - العمل من أجل تنمية الشعور القومي الحدودي انطلاقاً منها، لا انطلاقاً من مفاهيم الدين الذي هو في نظرهم عاملاً ثانوياً أضيق حدوداً وأقل انتشاراً من تلك المفاهيم العامة الواسعة الانتشار والأكثر تضامناً، وأن أخوة الوطن والقومية وأخوة الأرض والجنس والدم هي المقدمة على أخوة الدين والشرع.

كما يرى أتباع القومية العربية - من وجهة نظر أيديولوجية بحتة - أن عمليات البعث التراثي وتمجيد الفكر القديم المتمثل في إحياء التراث وتنويره أمر غير ذي أهمية، وأن النظر إلى معطيات العصر الحديثة، أو بما يسمى المعاصرة،

ومن هنا نجد بعضهم الشعار المشهور: الدين لله والوطن للجميع، وهو شعار اتخذ - كما يقول بعض العلماء - من فكرة نصرانية قديمة تقول: **ما لقيصر لقيصر وما لله لله**.

وقد نادى بفكرة القومية العربية وروّج لها أمثال **ساطع الحصري** (١٨٨٠-١٩٦٨م) و**جمال عبد الناصر** (-1918م) و**ميشيل عفلق** (١٩١٠ - ١٩٨٩م) وبعض الزعماء السياسيين العرب؛ وهناك الفريق المقابل الذي دحض فكرة القومية العربية وتصدى لها ضمن من تصدى من أصحاب التيار الفكري المناوئ لها أمثال أبي الأعلى المودودي في مؤلفه بين الدعوة القومية والرابطة الإسلامية، والشيخ **محمد الغزالي** في مؤلفه حقيقة القومية العربية، والشيخ **عبد العزيز بن باز** في مؤلفه نقد القومية العربية، و**محمد مصطفى رمضان** في مؤلفه الشعوبية الجديدة و**محمد قطب** في مؤلفه مذاهب فكرية معاصرة، إلى غير هؤلاء من المفكرين العرب.

## آثار القومية والعنصرية :

أولاً- ظهور العصبية التي فرقت بين الأمة، فالأمة الإسلامية كانت تعيش تحت مظلة العقيدة الإسلامية والأخوة الإسلامية (إنما المؤمنون إخوة)، "المسلم أخو المسلم" والإسلام اعتبر الأخوة إيماناً والفُرقة كفرًا، لما ذهب بعض اليهود وحاول أن يفرّق بين الأوس والخزرج، نزل القرآن يقول (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) فأسباب النزول تبين أنهم يردوكم بعد وحدتكم متفرقين وبعد أخوتكم متعادين (وكيف تكفرون ..)

ثانياً- المذاهب والأفكار والمبادئ المستوردة، فبعدما كانت الأمة تُحكّم الشريعة ولها مرجعية واحدة، أصبحت الآن تحتكم إلى أشياء أخرى وهذه جعلت جماعة يتجهوا إلى اليمين وجماعة يتجهوا إلى اليسار، وجماعة يتجهوا إلى الشرق وجماعة إلى الغرب، والقرآن يقول) وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله). كان هناك صراط واحد تجتمع عليه الأمة ، والآن هناك سبل مختلفة، فهذا يأخذ الليبرالية وهذا يأخذ الاشتراكية وهذا يأخذ الماركسية اللينينية وذلك الماركسية وهكذا، فهذا عامل ثاني .

ثالثاً- اختلاف الولاءات حتى مع اختلاف المستوردات - هذه المبادئ المستوردة - فهناك جماعة ولاؤهم لواشنطن وجماعة ولاؤهم لباريس وجماعة ولاؤهم لبكين وجماعة ولاؤهم لبلغراد، فتتوّعت الولاءات بعد أن كان الولاء كله لله ولرسوله وللمؤمنين (ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون).

رابعاً- الأنانيات والأهواء الحاكمة، فبعض الناس وجد أنه من مصلحته أن يكون كملوك الطوائف في الأندلس، ولو على قطعة صغيرة، فهذه الأنانيات الحاكمة والأهواء التي سيطرت على الكثيرين جعلتهم يؤثرون مصالحهم الشخصية وأن يكون لهم كرسي مستقل عن غيره ولو كان في ذلك ضياع الأمة في النهاية . فهذه من الآثار التي فرقت الأمة.

خامساً: ارتباط العنصرية والقومية بالعلمانية: إن النخب القومية والعنصرية بسبب تأثرها بالمفاهيم الغربية تشعر بالاغتراب من تقاليدنا وتباعد من المعتقدات والممارسات الدينية. ولكي تتمكن هذه النخب من تفويض النخب التقليدية وإنشاء قاعدة سلطة فهي غالباً ما تزوج لأيديولوجية قومية علمانية تبرر خلع النخب القديمة وتوفر للنخب الجديدة دوراً وموقعاً مركزيين. وفي ظل هذا الفهم الجديد لا يعود الدين يملك دوراً مركزياً في إضفاء الشرعية. أي أن هذه الرؤية هي أساساً رؤية علمانية، وان الظاهرة القومية هنا مرتبطة بالقضاء على الرؤية الدينية للعالم والمجتمع وظهور الرؤية العلمانية التي تحتاج إلى الفكر القومي لتحديد مشروعها السياسي.

## مصطلحات مرتبطة بالقومية :

ارتبط مفهوم القومية بعدة مفاهيم أخرى استعملها الكتاب في عصور مختلفة، من أهمها الوطنية، والأمة، والدولة، والقطر، والوطن.

فالقومية هي نتاج التفاعل بين المواطنين المقيمين على نفس التراب ويتكلمون نفس اللغة. فالتفاعل بينهم يؤدي لإيجاد شبكة من الروابط التي تتقوى بالتعاون والتزواج والمصالح المشتركة فيما بينهم كذلك تشير القومية إلى اعتزاز الناس بأمتهم وخصالها الحميدة وأصولها ولغتها ومنجزاتها.

وعلى الرغم من أن النهضة القومية العربية الحديثة تعود إلى أوائل القرن العشرين، إلا أن استخدام مصطلح "القومية" نفسه يعود إلى القرن السابع الميلادي كما لوحظ في كتابات ليحيى بن مسعدة.

كذلك تشير القومية إلى اعتزاز الناس بأمتهم وخصالها الحميدة وأصولها ولغتها ومنجزاتها.

وعلى الرغم من أن النهضة القومية العربية الحديثة تعود إلى أوائل القرن العشرين، إلا أن استخدام مصطلح "القومية" نفسه يعود إلى القرن السابع الميلادي كما لوحظ في كتابات ليحيى بن مسعدة.

كذلك يطلق مصطلح "الأمة" على جماعة من الناس الذين لهم نفس الاعتقادات الدينية، أو نفس اللغة، أو نفس العادات والتقاليد. وقد أكد كل من الكواكبي والأفغاني على أهمية اللغة كمتطلب أساسي لوجود الأمة.

أما مصطلح "الدولة" فيشير إلى الإرادة الجماعية للأمة التي تعبر عنها حكومتها. كذلك فإن الدولة وحكومتها لا يمكن وجودهما بدون أرض، وهي الوطن.

وهكذا فإن "الوطنية" هي الولاء للأرض وللمجموعة السكانية التي تقطنها، وهنا يكون التركيز على أهمية الحدود والموقع الجغرافي لذلك الوطن، كذلك فإن مفهوم "الوطن" مقترن بمفهوم المأوى والبيت والسكن، أي بمفهوم الأرض أيضاً.

### مفهوم الوطنية في الإسلام :

ارتباط الإنسان بوطنه وبلده، مسألة متأصلة في النفس، فهو مسقط الرأس، ومستقر الحياة، ومكان العبادة، ومحل المال والعرض، ومكان الشرف، على أرضيه يحيا، ويعبد ربه، ومن خيراته يعيش، ومن مائه يرتوي، وكرامته من كرامته، وعزته من عزته، به يعرف، وعنه يدافع، والوطن نعمة من الله على الفرد والمجتمع، ومحبة الوطن طبيعة طبع الله النفوس عليها، ولا يخرج الإنسان من وطنه إلا إذا اضطرتة أمور للخروج منه، كما حصل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم عندما أخرجته الذين كفروا من مكة، قال تعالى: (إلا تتصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) {التوبة: ٤٠}، ولما كان الخروج من الوطن قاسياً على النفس، صعباً عليها، فقد كان من فضائل المهاجرين أنهم ضحوا بأوطانهم في سبيل الله، فللمهاجرين على الأنصار أفضلية ترك الوطن، مما يدل على أن ترك الوطن ليس بالأمر السهل على النفس، وقد مدحهم الله سبحانه على ذلك فقال تعالى: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) {الحشر: ٨}.

وقد اقترن حب الأرض في القرآن الكريم بحب النفس، قال تعالى: (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم) {النساء: ٦٦}، واقترن في موضع آخر بالدين: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم) {الممتحنة: ٨}، كل هذا يدل على تأثير الأرض، وعلى أن طبيعة الإنسان التي طبعه الله عليها حب الوطن والديار، ولكن لهذا الحب حدود يجب ألا يتجاوزها؛ لأن فوق هذا الحب حب آخر أولى منه وأهم، وهو حب العقيدة والدين، فإذا ما تعارض حب الوطن مع الدين وجب حينئذ تقديم الأعلى وهو الدين.

فالأصل في الإنسان أن يحب وطنه ويتشبث بالعيش فيه، ولا يفارقه رغبة عنه، ومع ذلك فإن خرج فلا يعني هذا انقطاع الحنين والحب للوطن، والتعلق بالعودة إليه، قال الغزالي (والبشر يألفون أرضهم على ما بها، ولو كانت قفراً مستوحشاً، وحب الوطن غريزة متأصلة في النفوس).

وإذا كان حب الوطن مركزاً في النفوس متأصلاً فيها، فإن الإسلام بشريعته الغراء جاء ضابطاً لذلك، محدداً مساره كي يسير في الطريق الوسط المعتدل، مبيناً أن ذلك لا يتعارض مع أحكامه وتعاليمه، قال الله تعالى: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير) {البقرة: ١٢٦}. وقال تعالى: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) {إبراهيم: ٣٥}.

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته - أي أسرع بها -، وإن كانت دابة حركها). قال أبو عبد الله: زاد الحارث ابن عمير عن حميد: (حركها من حبها) أخرجه البخاري.

قال ابن حجر في الفتح: (فيه دلالة على فضل المدينة، وعلى مشروعية حب الوطن، والحنين إليه)

ويختلف مفهوم الوطنية من حيث الأفكار والتوجهات والمذاهب، فالوطنية عند بعضهم تقديس للوطن، بحيث يصير الحب فيه واليغض من أجله، حتى يطغى ذلك على الدين ويقدم عليه، فتحل الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية، ومنهم من ينطلق في مفهومه للوطنية من كونها فكراً ومنهجاً يصادم الشريعة ويعارضها، وفي مقابل هذا وجد من الناس من تجاهل حقوق وطنه عليه وتساهل في التزامها والوفاء بها، بل بلغ الحال ببعضهم إلى النفور من مجرد سماع هذه الكلمة، فضلاً عن معرفة حقوقها وواجباتها.

ولهذا نقول أن الوطنية في الإسلام: محبة الفرد لوطنه وبلده وقيامه بحقوق وطنه المشروعة في الإسلام ووفائه بها، وتقوية الرابطة بين أبناء الوطن الواحد وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم، التي يراها الإسلام فريضة لازمة، قال الله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة) {الحجرات: ١٠}، وقال النبي "وكونوا عباد الله إخواناً".

والوطنية التي يرفضها الإسلام، هي وطنية الحزبية التي يراد بها تقسيم الأمة إلى طوائف متناحرة، تتباغض وتتضاغن، فأساس وطنية المسلمين هي العقيدة الإسلامية، والإسلام قد جعل الشعور الوطني بالعقيدة لا بالعصبية الجنسية، وقد حدد هدفه العمل للخير من أجل البشر، فالاعتبار للعقيدة أولاً، بينما هي عند غيرهم ترتبط بالحدود الجغرافية.

وعلاقة الإسلام بالوطنية قوية ذات أبعاد كثيرة، فحب الإنسان لوطنه معادل وقرين لحب الإنسان الحياة، والإخراج من الديار معادل ومساوٍ للقتل المخرج للإنسان من هذه الحياة.

## الدين و العلم

### ما هو الدين؟

#### المعنى اللغوي لكلمة الدين :

الدين في اللغة يحمل معاني كثيرة ومتعددة فهو بمعنى الجزاء، والمكافأة، ويوم الجزاء. وفي حديث سلمان: ﴿إن الله ليدين للعجماء من ذات القرن﴾ أي يقتص ويجزى.

كما يعني الحساب ﴿مالك يوم الدين﴾، والدين القيم: أي ذلك الحساب الصحيح، والدين أيضا بمعنى الطاعة. والدين: الإسلام، وقد دنت به. والدين العادة والشأن. والدين: ما يتدين به الرجل. والدين السلطان. والدين الورع. والدين: المعصية. والدين الطاعة

الأديان: جمع دين ، والدين في اللغة بمعنى : الطاعة و الانقياد.

والدين في الاصطلاح العام: ما يعتنقه الإنسان و يعتقده ويدين به من أمور الغيب والشهادة. وفي الاصطلاح الإسلامي: التسليم لله تعالى والانقياد له.

قال العلامة ابن عاشور: "الدين اعتقادات وأعمال موصى من يرغب في اتباعها بملازمتها رجاء حصول الخير منها في حياته الأولى الدنيوية وفي حياته الروحية الأبدية". ويقول: "فالدين مجموع تعاليم يريد شارعها أن تصير عادة وخلقا لطائفة من الناس لتبعث فيهم الفضائل و الاحسان لأنفسهم وللناس".

فالدين في الوضع اللغوي له عدة إطلاقات تتضمن إلزامًا والتزامًا، وملتزمًا به ، أو بعبارة أخرى علاقة بين طرفين تتضمن عهدًا ومبدأ يلتزم به، فالإلزام من قبل المُلزم يقابله خضوع والتزام، وهي حالة نفسية وعملية، تسمى عملية التدين، ثم المبدأ الملتزم به، وهي الحقيقة الخارجية -بتعبير الشيخ دراز- وهي جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم، اعتقادًا وعملاً.

### أما في الاستعمال القرآني فيرد مصطلح الدين بمعنيين:

**الأول:** معنى المعتقد والمنهج الذي يتخذه الإنسان في هذه الحياة، يفسر به الوجود، ويشكل به نظرة وتصورًا عن الخالق والكون والحياة، وهذا ينظر إليه من ناحيته الإنسانية العملية، أي تلك الممارسة العملية ( التدين )، سواء كان هذا الدين إنكارًا أو إقرارًا بوجود الخالق وتحقق وعده أم لا.

**أما المعنى الثاني** فهو بالنظر إلى حقيقة هذا المنهج، ووضعه، وفي هذا يصير هناك دينان فقط؛ دين الحق ودين الضلالة، أو بعبارة أخرى دين الله الإسلام، وغيره من الاعتقادات التي تخالفه مهما كانت.

ونفهم مما سبق أن القرآن يعتبر ما يتخذ من أفكار أو معتقدات أو خرافات منهجًا للحياة دينًا بالمعنى العام، وإن كانت غير مقبولة عند الله، وذلك أنها تتوفر فيها تلك الجوانب الثلاثة التي أشرنا إليها سلفًا، وهي الخضوع والاعتقاد والمعتقد نفسه .

فهناك إذن جانبان للدين؛ باعتباره وضعًا إلهيًا، فإنه لا دين غير الإسلام، وباعتبار الواقع الإنساني فإن الدين هو كل منهج يتوفر فيه الجانب النفسي الذي يحمل الناس على التقيد به بما يحمله من وعود وتصورات، وبما يتوفر فيه من تعاليم، هذا إذا نظرنا إلى الدين كمنهج للحياة وتشريع يلتزمه الناس .

أما غير المسلمين فبعضهم يخصصه بالناحية الأخلاقية كقول (كانط) ( بأن الدين هو المشتمل على الاعتراف بواجباتنا كأوامر إلهية ).

وبعضهم يخصصه بناحية التفكير والتأمل كقول (رودلف إيوكن): (الدين هو التجربة الصوفية التي يجاوز الإنسان فيها متناقضات الحياة). إلى غير ذلك من التعريفات التي نظرت إلى الدين من زاوية، وتركت أوجهاً وزوايا عدة. وكثيراً من المعاجم الغربية تعرف الدين بأنه: المبادئ التي يبني عليه الفرد رأيه أو تصرفه فلسفياً أو سياسياً.

## مفهوم العلم :

يعدّ مفهوم العلم من المفاهيم الرئيسية في الدراسات المعاصرة؛ خاصة مع الجدل المتزايد حول حصر مفهوم العلم في الجانب التجريبي، والتساؤل بشأن علمية البحوث الاجتماعية، وإقصاء الدراسات الدينية والشرعية من وصف العلمية باعتبار المعرفة الدينية ما ورائية وقضاياها غيبية لا يمكن اختبارها بالتجربة العملية التي هي مقياس ومعيان العلم التجريبي الحديث.

ويلاحظ أن هذا الاتجاه هو وليد التطور التاريخي والخبرة الغربية حول هذا المفهوم، مما يجعله منفصلاً عن الخبرة والمفهوم الإسلامي.

وتترجم الكلمة الإنجليزية Science إلى لفظة علم، ويقابلها في اللاتينية Scientia وفي الفرنسية Science ، وقد دخلت كلمة عالم Scientist إلى اللغة الإنجليزية حوالي ١٨٤٠م لتمييز أولئك الذين يبحثون عن قوانين تجريبية في الطبيعة عن الفلاسفة والمفكرين، وعادة ما ينظر إلى الباحثين في المنطق والرياضيات على أنهم علماء، على الرغم من توقّف اعتبار الرياضيات علماً تجريبياً في الفترة من سنة ١٨٩٠م إلى سنة ١٩١٠م، واسم عالم يُعطى أيضاً للمتخصصين في العلوم الاجتماعية تقريباً دون تقييد .

والعالم في الغرب هو صاحب المعرفة العلمية الذي يضيف إلى ما هو معروف في العلم بالبحث ووضع الاكتشافات أو تدريس العلم في المؤسسات العليا للتربية.

## وقد وضعت المعاجم الإنجليزية العديد من التعريفات لكلمة علم، على سبيل المثال:

١. مجموعة متنوعة من فروع المعرفة أو مجالات فكرية تشترك في جوانب معينة.
٢. فرع من الدراسة تلاحظ فيه الوقائع وتصنف وتصاغ فيه القوانين الكمية، ويتم التثبت منها، ويستلزم تطبيق الاستدلال الرياضي وتحليل المعطيات على الظواهر الطبيعية.
٣. الموضوع المنظم في المعرفة المتحقق منها، ويتضمن المناهج التي يتم بها تقديم هذه المعرفة والمعايير التي عن طريقها يختبر صدق المعرفة.
٤. مجال واسع من المعرفة الإنسانية، يُكتسب بواسطة الملاحظة والتجربة، ويتم توضيحه عن طريق القواعد والقوانين والمبادئ والنظريات والفروض .

## وفئات العلم الواسعة ثلاث:

العلوم الفيزيائية (مثل الفيزياء، والكيمياء، علم الفلك)، والعلوم البيولوجية (مثل علم النبات، وعلم الحيوان)، والعلوم الاجتماعية (مثل الاقتصاد، والأنثروبولوجيا، والسياسة)، بالإضافة إلى الرياضيات التي إن لم تعتبر علماً بذاتها فإنها تعتبر أداة أساسية للعلم.

## واستناداً إلى التعريفات السابقة يتضح أن العلم في التعريف الغربي سماته :

- 1 - الجمع بين العلم كنظرية وكتطبيق.
- 2 - الجمع بين العلم كمنهج للبحث وكمضمون معرفي.
- 3 - التوكيد على العلم بمعناه الطبيعي؛ أي الذي يعتمد على التجربة والملاحظة.
- 4 - أن العلم يتعلق بمجال أخص من المعرفة العامة.

وقد تأثرت بعض المعاجم العربية بالتعريف الإنجليزي لمفهوم العلم؛ ففي المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة المصري في الستينيات: يطلق العلم حديثاً على العلوم الطبيعية التي تحتاج إلى تجربة ومشاهدة واختبار؛ سواء أكانت أساسية كالكيمياء والطبيعة والفلك والرياضيات، أو تطبيقية كالطب والهندسة والزراعة.

و أبرز مواطن الالتباس في التعريف هو الخلط بين مصطلحي العقل والحس، فأصبح المقصود بالعقل هو التجريب الحسي، وعلى ذلك فالخارج عن نطاق الحس خارج عن نطاق العقل والعلم جميعاً، مما يلزم إنكار الوحي ومباحث الغيبيات.

كما ان هذا التعريف للعلم اختزل العلم أساساً في العلوم الطبيعية والتجريبية وأبعد صفة العلمية عن العلوم الأخرى مما أثار إشكاليات علمية الحكام والعقائد الدينية، والصلة بين العلم والدين، وخاصة منذ فجر النهضة الأوروبية و انفصال مشروع الحداثة عن الايمان المسيحي الكنسي الذي كان مهيمناً على أوروبا في القرون الوسطى.

## كيف نفكر في الصلة بين العلم والدين؟

لقد فُكر غيرُنا طويلاً في الصلة بين العلم والدين، حتى أضحي هذا التفكير سبيلهم إلى صنع تاريخ لهم جديد، تاريخ أضفوا عليه من جميل الأوصاف ما أضفوا؛ فهل فُكرنا نحن من جانبنا في هذه الصلة كما فُكروا، وطولنا في هذا التفكير كما طوّلوا، وخرجنا منه بما خرجوا؟ كان يصح الجواب بـ”نعم” لو أننا أبدعنا في تفكيرنا كما أبدعوا، إذ لا تفكير بحق إلا مع وجود الإبداع؛ والواقع أن تفكيرنا في هذه الصلة الخفية خلا من أسباب الإبداع، إذ اكتفينا بترديد ما قاله غيرنا في وجوه هذه الصلة.

## وقد انقسم هؤلاء بشأنها إلى فرق ثلاث:

١. أن بين العلم والدين تناقضاً صريحاً.
٢. أن بين العلم والدين تمايزاً لا تناقضاً.
٣. أن بين العلم والدين تبايناً لا تناقضاً.

## ١. أن بين العلم والدين تناقضاً صريحاً:

فقد ادعت فرقة أولى منهم أن بين العلم والدين تناقضاً صريحاً، وبالغت في التمسك بهذا التناقض، ولم ترَ مخرجاً منه لا بترجيح ولا بتفريق، بل جعلت العلم حرباً على الدين وجعلت الدين حرباً على العلم، ورأت أنه لا مخرج من هذه الحرب إلا بانتصار العلم وانهزام الدين؛ فانتصر العلم لديها وانهمز الدين.

ووجدت منا نحن كذلك طائفة تدّعي ما ادعاه هؤلاء، لا حجة لها إلا أن سوانا تقدموا ونحن تأخرنا، فلنحتذ حذوهم حتى نتقدم؛ وما درت هذه الطائفة منا أن أسباب النزاع بين العلم والدين عند غيرنا لا وجود لها ألبتة عندنا، مهما تكلفت من أسباب المشابهة بيننا وبينهم، ومهما لفتت من ثمهم لتاريخنا حتى يكون بسوء تاريخ غيرنا، طامعة في أن يُقبل موقفها كما قبلَ موقف غيرها، وهيئات أن يُقبل! فالفجوة بيننا وبين سوانا في هذا الأمر لا هي حفرة تُردم ولا هي هوة تُعبر.

## ٢. أن بين العلم والدين تمايزا لا تناقضا :

وادعت فرقة ثانية من غيرنا أن بين العلم والدين تمايزا، لا تناقضا؛ فليس أحدهما يثبت حيث ينتفي الثاني، فيكون بينهما تناقض كما عند الفرقة الأولى، وإنما يختص بما لا يختص به هذا الثاني؛ فما يشتغل به العلم لا يشتغل به الدين، وما يشتغل به الدين لا يشتغل به العلم؛ فالعلم عند أفراد هذه الفرقة الثانية موضوعه المعرفة والحقيقة، بينما الدين موضوعه الشعور والحدس؛ وضوابط المعرفة والحقيقة لا تنطبق على مجال الشعور والحدس، وقواعد الشعور والحدس لا تنطبق على مجال المعرفة والحقيقة. وعلى هذا، فلا النقد العلمي بمقدوره أن ينال من الدين، ولا السلطة الدينية بمقدورها أن تنال من العلم .

ووجدت منا نحن أيضا طائفة أخرى ادعت ما ادعاه هؤلاء، حجتها في ذلك أن العلم مبني على التدليل العقلي والدين مبني على التسليم القلبي، ولا مطمع في التقدم والتحضر مثلما تقدم وتحضر سوانا إلا باعتماد طريق العقل على شرطهم؛ ولكم كان فخرها كبيرا أن تجد بين أسلافنا من أشبه قوله قول غيرنا، فراحت تشدد على اتباعه، وما ذاك إلا ابن رشد الذي قرّر وجوب الفصل بين العلم والدين بدعوى أن العلم طريقه البرهان الذي يناسب العلماء وأن الدين طريقه الإيمان الذي يناسب العوام! وما درت هذه الطائفة الثانية منا أن البرهان لا يستقل بنفسه ولا يغني عن الإيمان كما أن الإيمان لا يستقل بنفسه ولا يغني عن البرهان !

## ٣. أن بين العلم والدين تباينا لا تناقضا :

وأدعت فرقة ثالثة من غيرنا أن بين العلم والدين تباينا، لا تناقضا ولا تمايزا؛ فليس أحدهما يثبت حيث ينتفي الثاني، فيكون بينهما تناقض كما عند الفرقة الأولى، ولا أنه يختص بما لا يختص به، فيكون بينهما تمايز كما عند الفرقة الثانية، وإنما الواحد منهما يتناول ما يتناوله الآخر، لكن بغير الوجه الذي يتناوله به، فمتعلقهما واحد ووجه تعلقهما مختلف؛ فالاعتقاد في العلم غير الاعتقاد في الدين، والمعرفة في هذا غير المعرفة في ذلك، والفعل هنا غير الفعل هناك، فيكون العلم والدين بمنزلة شكليين متباينين من أشكال الحياة، بل بمنزلة عالمين اثنين لا مجال للمقارنة بينهما ولا لمقايسة أحدهما بالآخر؛ ومادام العلم والدين بهذا التباين البالغ، فلا يُعقل أن نصرف الدين بحجة أنه معرفة لا تقوى على النهوض بموجبات العلم، كما لا يُعقل أن نسعى إلى تقويته بأن نخلع عليه حلية العلم .

ووجدت منا نحن كذلك طائفة ثالثة ادعت ما ادعاه هؤلاء، مسترجعة بهذا الصدد ما قاله بعض أسلافنا من كون الدين يُعبّر عن الأشياء بلغة المجاز والإشارة، في حين أن العلم يُعبّر عن هذه الأشياء بلغة الحقيقة والعبارة؛ لذا لا يجوز أن نحكم على الإشارة بما يجب في حق العبارة، وإلا صارت قولا كاذبا، ولا أن نحكم على العبارة بما يجب في حق الإشارة، وإلا صارت قولا لا يقبل التحقيق ولا التدليل؛ فيتباين الدين والعلم عند أفراد هذه الطائفة منا كما تتباين لغة الشعر ولغة المنطق؛ وما درى هؤلاء أن الإشارة ليست درجة واحدة، وإنما درجات كثيرة، وأن العبارة -هي الأخرى- ليست درجة واحدة، وإنما درجات مختلفة! وحينئذ لا مفر من أن يتعذر عليهم الفصل في الأقوال التي تنزل الدرجات الوسطى هل وردت على وجه الإشارة أم على وجه العبارة .

فهذه مواقف ثلاثة من الصلة بين العلم والدين وفقها غيرنا، فقلدناهم فيها على غير بصيرة من أسبابها الحقيقية في مجالها الأصلي؛ أولها التناقض، وهو يفضي إلى صرف الدين؛ والثاني التمايز، وهو يفضي إلى تقديم العلم على الدين؛ والثالث التباين، وهو يفضي إلى جعل العلم في رتبة الدين .

## ما السبيل للخروج من هذا التقليد؟

فإن هل من سبيل إلى الخروج من هذا التقليد الذي لا يوضح ما استشكل علينا من أمر العلاقة بين العلم والدين ولا يرفع ما استغلقت علينا بصدها، بل ينقل إلينا ما يزيد هذا الأمر استشكالا واستغلاقا؟ ولكي يفتح لنا باب التجديد في النظر إلى الصلة بين العلم والدين، فلا بد من صرف الاستغلاق الزائد الذي دخل عليها بسبب التقليد.

يأتي هذا الاستغراق من تصوّرين منقولين عن غيرنا كلاهما مردود،

أحدهما "اختزال العلم في علوم الطبيعة"؛ و الثاني "اختزال الدين في أحوال الإيمان".

لا يمكن اختزال العلم في علوم الطبيعة، فلا يمكن أن نخترل العلم في علوم الطبيعة لوجود مبدئين يمنعان هذا الاختزال:

**أولهما "مبدأ مراتب العقل"؛** وبيانه أن السؤال الذي يجيب عنه العلم هو بالذات "ماذا أعقل؟"، فيكون الأصل في العلم هو العقل الصحيح؛ غير أن العقل الصحيح ليس -كما شاع وذاع- رتبة واحدة، وإنما هو -على الحقيقة- رتب متعددة؛ وحيثما وُجدت رتبة من هذه الرتب العقلية فتمّة علم على قدرها؛ وعلى هذا، يكون العلم فوق العلم الطبيعي متى كانت رتبة العقل الذي يتعلق به تعلقاً على رتبة العقل الذي يتعلق بالعلم الطبيعي، كما يكون العلم دون العلم الطبيعي متى كان العقل المتعلق به ينزل عن رتبة العقل المتعلق بالعلم الطبيعي؛ وهكذا، فالعلم أوسع من أن يستوعبه العلم الطبيعي وحده.

**والمبدأ الثاني هو "مبدأ استكمال العلم"؛** وتوضيحه أن الأصل في كل علم من العلوم أن يطلب كماله، ولا يُحصّل هذا الكمال إلا بالالتجاء إلى العلم الذي يعلوه؛ ذلك أن كل علم تكون به آفات وله حدود، ولا يمكن أن يُزيل هذه الآفات ويرفع هذه الحدود إلا علمٌ أرقى منه، فلا بد إذن لكل علم من أن يظل موصولاً بالعلم الذي فوقه، حتى تزول عنه آفاته وترتفع عنه حدوده؛ وهكذا فالعلم الطبيعي لا تذهب عنه مناقصه ويكتمل حقا إلا بعلم غير طبيعي يسمو عليه. لا يمكن اختزال الدين في أحوال الإيمان، كما أنه لا يمكن أن نخترل الدين في أحوال الإيمان لوجود مبدئين يمنعان هذا الاختزال:

**أولهما "مبدأ تعدد شعب الحياة"؛** وبيانه أن السؤال الذي يجيب عنه الدين هو بالذات: "كيف أحيأ؟"؛ فيكون الأصل في الدين هو الحياة الطيبة، غير أن الحياة الطيبة ليست شعبة واحدة، وإنما شعب متعددة؛ وقد نُجمل هذه الشعب في ثلاث كبرى، وهي "شعبة الإيمان"، وتدخل فيها كل الاعتقادات؛ ثم "شعبة العلم"، وتدخل فيها كل المعارف؛ ف"شعبة العمل"، وتدخل فيها كل الأفعال؛ ولا حياة طيبة إلا بتكامل هذه الشعب الثلاث فيما بينها، فالفرد لا يحيا بشعبة واحدة منها، إن إيماننا وحده أو علما وحده أو عملا وحده، ولا بشعبتين منها، إن إيماننا وعلما معا أو إيماننا وعملا معا أو علما وعملا معا، وإنما يحيا بها جميعا على قدر نصيبه من كل شعبة منها؛ وهكذا، فالدين أوسع من أن تستوعبه حال الإيمان وحدها.

**والمبدأ الثاني هو "مبدأ استكمال الشعبة"؛** وتوضيحه أن الأصل في كل شعبة من شعب الحياة الطيبة أن تطلب كمالها، ولا تُحصّل هذا الكمال إلا بالتداخل مع الشعبتين الأخرين، ذلك أن كل شعبة تكون بها حاجات ولها تعلقات، ولا يمكن أن تُلبى هذه الحاجات وتُرضي هذه التعلقات إلا هذه أو تلك من الشعبتين الأخرين أو هما معا؛ فلا بد إذن لكل شعبة من أن تظل موصولة بغيرها من شعب الحياة؛ وهكذا، فالشعبة الواحدة لا تبلغ غاياتها وتكتمل حقا إلا بباقي الشعب.

### معالم الصلة بين العلم والدين عندنا :

بناء على هذا الذي ذكرناه في سياق إبطالنا للاختزالين المنقولين، تتضح معالم الصلة بين العلم والدين التي قد نكون بها مجدّدين غير مقلّدين، ومنتجين غير مستهلكين؛ وهذه المعالم المبدعة هي:

أ - أن مفهوم "العلم" يصبح -بمقتضى "مبدأ مراتب العقل"- أوسع من المفهوم الغربي المتداول "للعلم"، كما أن كل علم يصبح -بمقتضى "مبدأ استكمال العلم"- محتاجا إلى ما فوقه من العلوم؛ وفي هذا تجديد يخالف ما تقرر عند غيرنا.

ب - أن مفهوم "الدين" يغدو -بمقتضى "مبدأ تعدد شعب الحياة"- أوسع من المفهوم الغربي المتداول "للدين"، كما أن كل شعبة تغدو -بمقتضى "مبدأ استكمال الشعبة"- محتاجة إلى ما يناظرها من الشعب؛ وفي هذا تجديد يخالف ما تقرر عند غيرنا .

## تترتب على هذا الاتساع في مفهوم "العلم" ومفهوم "الدين" نتائج أساسية:

**أولاًها:** أن العلم لا يقابل الدين مقابلة تناقض، ولا مقابلة تمايز، ولا مقابلة تباين، وإنما مقابلة تداخل، إذ يكون العلم جزءاً واحداً من أجزاء الدين كما يكون الإيمان جزءاً ثانياً والعمل جزءاً ثالثاً من هذه الأجزاء.

**والثانية:** أن العلم -خلافاً للقائلين بالتناقض- لا يمتنع أن يرد في ترتيب واحد مع الدين، وأنه -خلافاً للقائلين بالتمايز- لا ينزل رتبة أعلى من الدين، وأخيراً أنه -خلافاً للقائلين بالتباين- لا ينزل نفس الرتبة التي ينزلها الدين، وإنما ينزل رتبة أدنى منه كما يكون الجزء أدنى من الكل، إذ إن العلم يدخل في الدين دخول الإيمان والعمل فيه.

**والثالثة:** أن العلوم التي تكون جزءاً من الدين لا تقتصر على ما اختص باسم "علوم الدين"، وإنما تشمل أيضاً ما اختص باسم "علوم الدنيا"، سواء كانت علوم رياضة أو علوم طبيعة أو علوم حياة أو علوم إنسان.

**والرابعة:** أن تطوّر العلوم -على خلاف ما يظن غيرنا- لا يُضيق من رقة الدين، بل يزيد توسعاً، ولا ينقص من تأثيره، بل يزيده قوة، ذلك أن العلوم، لما كانت جزءاً داخلياً في بنية الدين نفسها، كانت الأطوار التي تنقلب فيها والتي يفضّل لاحقاً سابقها، تفتح في الدين آفاقاً معرفية غير مسبوقّة وترقى بفهمنا له درجات على قدر هذه الأطوار، بل إنها تتعدى ذلك إلى كونها تُجدّد قدرتنا على التدبّر وتُنوّع سبلَ تحقّقه لدينا .

## خاتمة

والقول الجامع أن صلة العلم بالدين، من منظور الإسلام، هي صلة تداخل يكون فيها العلم جزءاً من الدين، فيلزم بحسب هذا المنظور أن نُقدّم الدين على العلم، لا تقديم الفاضل على المفضول، وإنما تقديم الكل على الجزء كما يلزم بحسبه أن نُدخل في الدين كل العلوم، لا دخول التابع في المتبوع، وإنما دخول العنصر في المجموع، ألا ترى كيف أن مكتشفات العلوم وحقائقها -وهي تشهد بصدق أخبار الدين وصحة أحكامه- نزداد بها افتكاراً واعتباراً، حتى إنها تُقوّي صلتنا بخالقنا كما يقويها دائم صلواتنا!

## التجديد و التطوير

### مفهوم التجديد :

يعتبر مفهوم التجديد من أكثر المفاهيم التي تنازعتها التيارات الثقافية والفكرية المختلفة، وقد انعكس هذا التنازع على المفهوم ذاته من حيث معناه ودلالاته، وواقعياً يصل الباحثون لمُسَلِّمة هي أن التجديد -على المستوى النظامي والحركي- قد تُخفق أهم جهوده نظراً لعدم وضوح التأصيل الفكري والمنهجي لعملية التجديد في تأكيد واضح على أهمية الربط بين النظرية والفاعلية في مجال التجديد الحضاري.

والتجديد في اللغة العربية من أصل الفعل "تجدد" أي صار جديداً، جده أي صيِّره جديداً وكذلك أجده واستجده، وكذلك سُمِّي كل شيء لم تأت عليه الأيام جديداً،

ومن خلال هذه المعاني اللغوية يمكن القول، إن التجديد في الأصل معناه اللغوي يبعث في الذهن تصوراً تجتمع فيه ثلاثة معانٍ متصلة:

- أ- أن الشيء المجدد قد كان في أول الأمر موجوداً وقائماً وللناس به عهد.
- ب- أن هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديماً.
- ج- أن ذلك الشيء قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق.

ولقد استخدمت كلمة جديد - وليس لفظ التجديد- في القرآن الكريم بمعنى البعث والإحياء والإعادة -غالباً للخلق-، وكذلك أشارت السنة النبوية لمفهوم التجديد من خلال المعاني السابقة المتصلة: الخلق- الضعف أو الموت-الإعادة والإحياء.

ويعتبر حديث التجديد [عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله- (صلى الله عليه وسلم): "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد دينها" رواه أبو داود]

من أهم الإشارات إلى مفهوم التجديد في السنة النبوية، وقد تعلقنا بهذا الحديث مجموعة من الأفكار أهمها:

- ١ - تجديد الدين: هو في حقيقته تجديد وإحياء وإصلاح لعلاقة المسلمين بالدين والتفاعل مع أصوله والاهتداء بهديه؛ لتحقيق العمارة الحضارية وتجديد حال المسلمين ولا يعني إطلاقاً تبديلاً في الدين أو الشرع ذاته.
- ٢ - زمن التجديد: اعتبر بعض الباحثين أن الإشارة الواردة في الحديث عن زمن التجديد على رأس كل مائة إنما هي دلالة على حقيقة استمرارية عملية التجديد، وتقارب زمانه بحيث يصبح عملية تواصل وتوريث.
- ٣ - المجدد: اجتهد العلماء في توصيف وتحديد المجدد على رأس كل مائة سنة، لكن البعض يرى أن المجدد يقصد به الفرد أو الجماعة التي تحمل لواء التجديد في هذا العصر أو ذلك، ويجوز تفرقهم في البلاد، ويعرفهم ابن كثير بأنهم حملة العلم في كل عصر.

ويعد التجديد مفهوماً مناقضاً لمفهوم التقليد، ويقصد بالتقليد محاكاة الماضي بكل أشكاله وشكلياته، ولقد أدى التقليد إلى انفصال بين الوحي والعقل، وكأنهما متضادان لا يمكن الجمع بينهما، وبناءً على ذلك فإن عملية التجديد تعتبر ضرورة لإعادة ضبط العلاقة بين الوحي والعقل حتى لا تضطرب الأمور فيصير التجديد نابغاً من الخارج (التقليد الغربي) أو مرتداً نحو الماضي لمحاولة إعادته (تقديس التراث)، ولكنها تعني أن العقل هدفه تكريم الإنسان وأساس تحمله للأمانة وقاعدة التكليف والالتزام بقواعد الاستخلاف.

## التجديد في الفكر الإسلامي :

التجديد في الفكر الإسلامي: يعني العودة إلى الأصول وإحياءها في حياة الإنسان المسلم؛ بما يمكن من إحياء ما اندرس، وتقويم ما انحرف، ومواجهة الحوادث والوقائع المتجددة، من خلال فهمها وإعادة قراءتها تمثلاً للأمر الإلهي المستمر بالقراءة: "أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" (العلق: 1).

وفي الواقع يرتبط "مفهوم التجديد" بشبكة من المفاهيم النظرية المتعلقة بالتأصيل النظري للمفهوم، والمفاهيم الحركية المتعلقة بالممارسة الفعلية لعملية التجديد.

على سبيل المثال: يتشابه مفهوم "التجديد" مع مفهومي "الأصالة والتراث"؛ حيث يقصد بالأصالة تأكيد الهوية والوعي بالتراث دون تقليد جامد، وتلك المقاصد جزء من غايات التجديد.

كما يشترك "التجديد" مع مفهوم "التغريب" الذي يعبر عن عملية النقل الفكري من الغرب، وهو ما قد يحدث تحت دعوى التجديد.

وعلى صعيد المفاهيم الحركية، تطرح مفاهيم مثل "التقدم" و"التحديث" و"التطور" و"التقنية" و"النهضة" لتعبر عن رؤية غربية لعملية التجديد نابعة من الخبرة التاريخية الغربية، ومستهدفة لربط عملية التجديد في كل الحضارات بالحضارة الغربية، باعتبارها قمة التقدم وهدفاً للدول الساعية نحو التنمية، كما تظهر مفاهيم مثل "الإصلاح" و"الإحياء" وهي نابعة من الرؤية الإسلامية لعملية التجديد، حيث التجديد هو إحياء لنموذج حضاري وجد من قبل ولم تحدث تجاهه عمليات التجاوز والخلاص، ويتضح مما سبق مدى الارتباط بين "مفهوم التجديد" فكرياً وممارسة وبين الخبرة التاريخية والمرجعية الكبرى النهائية للمجتمع.

## مفهوم التجديد في الفكر الغربي

### مفهوم التجديد في الفكر الغربي على أساسين:

أ - لا تُرى عملية التجديد إلا بمنظور التكيف في إطار من نسبية القيم وغياب العلاقة الواضحة بين الثابت والمتغير؛ إذ تعتبر كل قيمة قابلة للإصابة بالتبدل والتحول، وعلى الإنسان أن يستجيب لهذه التغيرات بما أسمته التكيف، ولم يطرح الفكر الغربي قواعد لعملية التجديد وحدوده وغاياته ومقاصده.

ب - يغلب على مفهوم التجديد في الفكر الغربي عملية التجاوز المستمرة للماضي أو حتى الواقع الراهن. وتبدو فكرة التجاوز مرتبطة بالفكر الغربي الذي يقوم على نفي وجود مصدر معرفي مستقل عن المصدر المعرفي البشري المبني على الواقع المشاهد أو المحسوس المادي.

## ضرورة التجديد وأهميته:

- التجديد بمعناه العام سنة كونية من سنن الحياة وأحد قوانين الوجود وضرورة عصرية لا غنى عنها.

- التجديد ضرورة حياتية؛ لأن الدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان، ومن ثم فإن الوقوف والثبات على معنى واحد يضر بالدين مثلما يضر أيضاً بحركة الحياة. ومهمة التجديد الأساسية تتمثل في مواجهة متطلبات الحياة المتجددة والاجتهاد بشأنها.

- ليس التجديد عبثاً ولا أمراً عشوائياً ولا ينطلق من فراغ، وإنما يتوقف على فهم الواقع من أجل الكشف عما فيه من سلبات والانطلاق من هذا الفهم نحو تصحيح المفاهيم الحاكمة وتصحيح الأوضاع الخاطئة.

- التجديد ضروري لفك أسر الدعاة من الوقوف عند ظواهر النصوص وعدم استكناه بواطنها البعيدة ومراميتها الحقيقية والتي ترتبط دائماً بمصالح العباد الدينية والدنيوية على حد سواء.

- التجديد ضرورة؛ لأن وسائل الخطاب غير محصورة وقابلة للتجديد تبعاً لتفاوت الأزمنة واختلاف الأمكنة.

- النبي، عليه الصلاة والسلام، هو أول من تحدث عن التجديد مبشراً الأمة الإسلامية بأن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد دينها.

### اتجاهات التجديد في العالم الإسلامي :

الأمر الجدير بالإشارة إليه والتنبيه عليه هو أن هناك تصورات ورؤى مختلفة حول مفهوم التجديد وحقيقته، **بحيث يمكن أن نميز بين اتجاهين أو نمطين من دعوات التجديد:**

نمط كان يهدف في مشروعه إلى نقض أطروحة الدين باسم الدين، والطعن في الفكر الإسلامي من خلال دفاع أصحابه المستميت عن فكرة فصل الدين عن السياسة، وإقصاء الدين عن الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية والتربوية.. الخ.

وهناك نمط آخر حمل لواءه علماء الإسلام كان يعمل على إحياء دور الدين في السياسة واستيعابه لمستجداتها المتنوعة، وصياغة فهم معاصر وسليم لقضايا العقيدة والشريعة، حتى يتاح للدين أن يمتد لسائر مناشط الحياة، ويعم الإسلام في مرافق المجتمع. كما عمل هذا الصنف على تحقيق أسلمة المعارف والعلوم والمؤسسات الاجتماعية وغيرها.

على أن هذا النمط الثاني هو التجديد المشروع لأنه ينبثق من تراث الأمة وعقيدتها، ونسقتها الحضاري وتاريخها.. ويعمل على تكثيف عناصر وأدوات محلية ذاتية لحركته التجديدية بحيث تستمد روحها من الماضي. ولا تعدم تلك الأدوات الإفادة من منجزات العصر وأدواته بغية تطوير الواقع الإسلامي المعاصر اعتماداً على الوحي باعتباره إطاراً مرجعياً وضابطاً منهجياً.

### أ. الاتجاه التغريبي للتجديد (التطوير) :

- هذا الاتجاه جعل التجديد مرادفاً للتغيير، بهدف القضاء على الماضي ورواسبه، فاعتبر أن الإسلام مجرد حلقة من حلقات اتصال السماء بالأرض ومرحلة في تطور الإنسان ذاته، وهذا معناه قيام هذا الاتجاه على أساس مضمون مخالف تماماً لعملية التجديد ومصادرها، ومنطلقاتها، وأغراضها... بحيث يتبنى الرؤية الغربية كاملة باستبعاد الوحي كلية، وإدخاله ضمن مقولات وتصورات غربية، في محاولة متعسفة قاصرة تفتقد إلى الموضوعية في البحث والدراسة.

ومرد هذا التوجه في الفكر إلى الانبهار الكبير بحضارة الغرب، تلك الحضارة التي جعلت شعارها "لا سلطان على العقل إلا العقل" وبذلك أحلت العقل والعلم والفلسفة محل الله والدين واللاهوت.

إن التجديد إذن؛ في تصور هذا الاتجاه هو إخضاع الدين لمتغيرات الواقع. فحياة الناس ووسائل الإنتاج والتوزيع وعلاقات المجتمع وغير ذلك من مكونات الواقع لا تستقر على حال، وهذا يقتضي تغيير الدين وتطويره ليوافق مستجدات الواقع، والنتيجة أن الدين يصبح -وفقاً لهذا الفهم- مطابقاً لأي واقع نريد، فهو دين الاشتراكية تارة ودين الرأسمالية تارة أخرى، وهكذا يتم إخضاع ثوابت الدين لمتغيرات الواقع.

كما يعمل هذا الاتجاه على تكييف النص بسبب وروده ونزوله، متأثراً بأفكار المستشرقين الذين لا يرون فرقاً بين النص الشرعي وأي نص بشري، ويحاولون من خلال ذلك إخضاع النصوص الشرعية لما يخضع له غيرها من النسبية والظرفية وعدم الاستمرارية المطلقة الأبدية وهذا التوجه في تكييف النصوص توجه مشبوه. إن الاتجاه التغريبي الذي عالج قضية التجديد، هو اتجاه يتراوح في فهمه لهذه القضية بين ما يسمى بتيار الاستبدال والتغيير الكامل، وبين ما يسمى بتيار التلفيق والتوفيق بين الرؤية الإسلامية والرؤية المادية الوضعية الغربية، ويقوم هذا الاتجاه بتياراته المختلفة على مضمون مخالف لعملية التجديد والإحياء ومرتكزاتها و ضوابطها حيث يتبنى الرؤية الغربية العلمانية كاملة بإقصاء الإسلام كلية، أو إدخاله ضمن مقولات غربية، في محاولة لإسقاط متعسف أو بحث عن توفيق وتوفيق يخلق نوعاً من المشابهات السطحية بين مفاهيم إسلامية وأخرى غربية.

### الاتجاه التغريبي بتياراته المختلفة في تناوله للمفهوم والمنهجية، تفرع إلى أكثر من فريق:

- فريق أهمل تحديد المفهوم ويقع معظم من يمثله ضمن تيار التوفيق، ذلك أن عملية التوفيق بطبيعتها تهمل مجموعة من القضايا الأساسية أهمها على الإطلاق ( المفهوم و المنهجية ) حتى يتسنى القيام بهذه العملية دون أي معوقات نظرية و منهجية يمكنها أن تسد الطريق أمام القيام بها ابتداء.
- الثاني تبنى المفاهيم الغربية المتعلقة بعملية التجديد دون أدنى مراجعه تذكر كل وفق توجهه الإيديولوجي المسبق ، سواء كانت المقولات ماركسية أم ليبرالية.
- فريق آخر " ضمن تيار التوفيق " حاول أن يجري عملية التوفيق بين المفاهيم دون أسس منهجية و معايير واضحة ، مما أسهم في تشويه المفهوم ذاته. وتعتبر محاولة الجمع بين مفاهيم الرؤية الإسلامية والغربية عملية مرحلية لإقصاء المفهوم الأصيل بكل جوانبه في اتجاه التغريب الكامل.
- فهؤلاء التغريبيون يشكون من عقم الإنتاج، وهمم الوحيد أن ينقلوا من أسيادهم المناهج والتصورات في دراستهم للقضايا. فهم مقلدون ليس إلا، دون فهم أو تعقل على أساس أن ذلك هو سبيل التقدم أو التحديث أو التنمية. وهذا مخالف لأصول الشريعة التي حذرت من التقليد و التبعية.

### ب. الاتجاه التأصيلي :

التجديد في مفهوم هذا الاتجاه هو أن تعيد الفكرة أو الشيء الذي بَلِيَ أو قدم أو تراكمت عليه من السمات والمظاهر ما طمس جوهره، أو تعيده إلى حالته الأولى، يوم كان أول مرة، فتجديد الشيء أن تعيده جديداً وكذلك الفكر، وكذلك أيضاً الدين.

أي إنهاض الهمة وبعث الروح فيمن أصابه الخمول، وتنشيط من لحقه الوهن في العزيمة والتراخي والكسل، وذلك بإحياء السنة وطمس البدعة... إنه الفهم الصحيح لمبادئ الإسلام وقيمه.

أما **أبو الأعلى المودودي** فيرى أن حقيقة التجديد هي " عبارة عن تطهير الإسلام من أدناس الجاهلية، و جلاء دبياجته حتى يشرق كالشمس ليس دونها غمام "

فالتجديد الحقيقي هو الذي يعمل على إبراز البدائل، وتقديم الحلول والعلاجات لأمراض الأمة المزمنة، على أساس استيعاب القديم وتقويمه ودراسته وتحليله وإعادة قراءته وإدراك تحديات الحاضر من أجل استشراف متطلبات المستقبل المنشود.

كما عرفه أيضاً **د. فاروق النبهان** بأنه عبارة عن أداة التواصل، لأنه يعطي للفكرة بعدها الزمني عن طريق ربط تلك الفكرة بالرؤية المتجددة التي تمنحها القدرة على الاستمرار والبقاء والصمود في وجه التطورات المستمرة، التي يعرفها الواقع وتألفها الأجيال اللاحقة.

إن التجديد في بعده الفكري هو نشاط عقلي لا يتوقف، فهو دائم القيام بعملية النقد والمدارسة والنظر باستمرار في التراث الفكري، والمعارف الإنسانية والتجارب التاريخية، قصد تصحيحها والإفادة منها، لتلائم تطورات الواقع الإنساني الجديد. لأن الفكر يمكن أن يموت أو يبلى، متى توقف عن التجديد والإبداع هناك إذن علاقة قائمة بين الواقع وما يفرزه من قضايا ومستجدات، وبين العقل الإنساني وقدرته على صنع الأفكار القادرة على مواجهة تحديات الواقع المعاصر.

هكذا نخلص إلى أن التجديد هو تجديد في الفكر والثقافة والمنهج، وليس المقصود بالتجديد هنا هو التجديد في ثوابت الدين. إن الدين باعتباره وحيّاً إلهياً لا يجوز فيه الزيادة ولا التغيير أو التبديل أو النسخ أو التعطيل بحجة فساد العصر.

هكذا يكون التجديد ليس إلغاءً أو تعديلاً للقيم، وإنما هو عودة إلى الينابيع، عودة إلى المعايير بالقيم وإعادة تنزيلها على الواقع، واستئصال نوابت السوء، ومحاصرة البدع والخرافات والأوهام، وعودة إلى تحريك وتشغيل آليات التغيير الاجتماعي، والتعامل مع السنن الجارية، وهز البرك الراكدة، ومعالجة حالات الاسترخاء والرخاوة التي ألفتها الناس، وإعادة فحصها واختبارها وتصويبها.

إن التجديد في الحقيقة هو نوع من التغيير المنهجي المنضبط بقيم الكتاب والسنة. فالتجديد الحقيقي - المنشود - يتم بناءً على أساس العودة إلى الينابيع الأولى، وإعادة التقييم بها، ليصبح الوحي الإطار المرجعي والضابط المنهجي، والمعياري للمراجعة المستمرة وإعادة تقييم الواقع بقيم الكتاب والسنة.

### تعدد مجالات التجديد :

التجديد يشمل جوانب كثيرة تتعلق بالفكر والسلوك والعمل، وتتوزع على مختلف مناسبات الحياة، ودوائر الوجود الإنساني.

### وقد قرر عدد من العلماء المتقدمين تعدد مجالات التجديد:

يقول **الحافظ ابن حجر** في الفتح ٢٩٥/١٣ (لا يلزم أن يكون في رأس كل مئة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة وهو متجه، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يُدعى ذلك في عمر بن عبدالعزيز فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير، وتقدمه فيها....).

ويقول **ابن الأثير**: (لا يلزم أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلاً واحداً وإنما قد يكون واحداً وقد يكون أكثر منه؛ فإن لفظة (مَنْ) تقع على الواحد والجمع، وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعوث: الفقهاء خاصة - كما ذهب إليه بعض العلماء - فإن انتفاع الأمة بغيرهم أيضاً كثير مثل: أولي الأمر، وأصحاب الحديث، والقراء والوعاظ، وأصحاب الطبقات من الزهاد؛ فإن كل قوم ينفعون بغيرهم لا ينفع به الآخر؛ إذ الأصل في حفظ الدين حفظ قانون السياسة، وبث العدل والتناصف الذي به تحقن الدماء، ويُمكن من إقامة قوانين الشرع، وهذا وظيفة أولي الأمر. وكذلك أصحاب الحديث ينفعون بضبط الأحاديث التي هي أدلة الشرع، والقراء ينفعون بحفظ القراءات وضبط الروايات، والزهاد ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد في الدنيا. فكل واحد ينفع بغير ما ينفع به الآخر...)

- التجديد الفكري. - التجديد الفقهي. - التجديد الثقافي. - التجديد الحضاري.

## تأخر المسلمين و سبيل النهوض بهم

### تمهيد:

ظلت الأمة الإسلامية متماسكة البناء الحضاري ، متأقفة في سماء الإبداع والعطاء ، ممثلة نموذجاً فذاً للنظام الذي يحقق للإنسان إنسانيته ويحفظ له كرامته ويضمن له فعالية مطردة في مجالات التقديم ، ولم يتحقق هذا إلا بفضل ذلك المنهج الحضاري الشامل ، الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة مما يحتاجه الإنسان في مسيرته الحضارية إلا هياًه ووفره .

وما هو قابل للاجتهد بواسطة العقل، وضع له الضوابط الدقيقة التي تعصم العقل من الزيغ في حركته الاجتهادية، وبذلك وصلت الأمة الإسلامية قمة الازدهار وقمة العطاء.

ولكن أتى عليها حين من الدهر ، وجدت نفسها وقد ولى عنها ذلك المجد الزاهي، فرجعت القهقري، وبتعبير آخر تخلفت وتأخرت ، وحلت بها الأزمة.

فما هي الأسباب التي كانت وراء التخلف؟ وكيف السبيل إلى البعث الحضاري من جديد؟

### ١- مفهوم التخلف:

لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور (مادة تخلف) مايلي : ( خلف الليث: الخلف ضد قدام (...)) وجلست خلف فلان أي بعده (...)) والتخلف: التأخر. وفي حديث سعد : فخلّفنا فكلنا آخر الأربع أي أخرنا ولم يقدمنا، والحديث الآخر: حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلّفهم أي يتقدم عليهم ويتركهم وراءه، ومنه الحديث: ( استنوا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم (أخرجه مسلم)، أي إذا تقدم بعضهم على بعض الصفوف تأثرت قلوبهم، ونشأ بينهم الخلف، وفي الحديث: ( لتسوّن صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم) (متفق عليه)، يريد أن كلا منهم يصرف وجهه عن الآخر ويوقع بينهم التباعد، فإن إقبال الوجه على الوجه من أثر المودة و الإلفة.

### ٢- متخلفون عن ماذا؟

اصطلاحاً: إن مفهوم التخلف يتضمن أو يفترض وجود نموذج يجسد التقدم وآخر متخلف عنه، فمشيت خلف فلان يعني أنني تخلفت عنه ، وتخلفت عن الركب يعني أن تخلفي يقاس بالموقع الذي يحتله ذلك الركب في المسار الذي يفترض السير فيه.

ومن هذا المنطلق نجد كثيراً من الكتاب والباحثين الذين أثاروا قضية تخلف المجتمع المسلم، يرون أن هذا المجتمع متخلف بالنسبة للمجتمع الغربي وقد خضعوا في نظرهم تلك، للمقياس الذي أشاعه الغرب للتقدم والتخلف، وهو اعتبار نمودجه ممثلاً للتقدم، واعتبار نماذج بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية نماذج التخلف، ولم يقصر ذلك على الجوانب التقنية والعلمية والصناعية ومستويات المعيشة، وإنما مدّها إلى القيم والأخلاق ومكونات الشخصية، فأعتبر نمودجه معيار التقدم وأخذ يقاس عليه النماذج الأخرى ، التي ستعتبر متخلفة بالضرورة ما دامت وحدة القياس هي نمودج (العربي).

والواقع أننا عندما نحكم على أمة بالتخلف ، لابد لنا من مقياس نستند إليه في ذلك الحكم، ولكن الذي ينبغي أن ينعقد عليه يقيننا، إن ذلك المقياس ليس هو إطلاقاً نموذج الغرب وحضارته المادية، وإنما هو النموذج الإسلامي المتكامل الذي تجسد على أرض الواقع ردحاً من الزمان وأشع بأنواره على البشرية كلها، ولا يزال إلى الآن وإلى الأبد مثالا ترنو إليه الأبصار والعقول، التي تدرك المعنى الحق للحضارة والتقدم.

والسبب في ذلك واضح، وهو أن النموذج الغربي قد قام على أساس مادي صرف وعلى رؤية مبتورة لمفهوم التقدم مشتقة من رؤيته للكون والحياة والإنسان... وهي رؤية لاتحتل منها القيم الأخلاقية والفضائل التي تسمو بحياة الإنسان وتميزه عن الحيوان حيزاً يذكر.

ومن هنا وجب تحرير عقول المسلمين من ذلك الاقتران الخطير الذي درجت على استساغته، وهو الاقتران بين التقدم ومجتمع الغرب، غافلين كل الغفلة، عن أن ذلك الطراز من التقدم إذا وضع في ميزان الإسلام، سيكون مصره الرفض، لأنه يهتم بإشباع حاجات الإنسان المادية، ويخفق فيه حاجاته الروحية وهو في النتيجة والمال سينعكف على منتوجاته المادية ويدمرها تدميراً، في غياب الحصن الأخلاقي الذي يحمي مكاسب الإنسان الحضارية ويصونها من الفساد. إننا عندما نحلل مكونات الحضارة الغربية في ضوء ماسبق، ننهي إلى وضعها في قفص الاتهام، بل إننا لانتردد لحظة في وصفها بوصمة التخلف، لأنها بعيدة بأوضاعها وأجوائها عن الوضع الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان، فبينما وتائر الإنتاج المادي في تصاعد، إذ بالإنسان يمعن في الارتكاس حتى وصل إلى هذه الصورة البائسة التي نراه عليها اليوم من تمزق وانحلال وعبثية عمياء.

ومن هنا فإننا عندما نتحدث عن التخلف الحضاري للأمة العربية الإسلامية فلا يخطرن ببال أصحاب العقول الراجعة أننا نقيس الأمة الإسلامية على الحضارة الغربية، بل إننا نصف الأمة الإسلامية بالتخلف ونحن على يقين أن من أهم أسباب تخلفها الجري وراء نموذج الغرب ، ومحاولة الاقتداء به والسير في ركابة ورؤية الحياة كمار يراها هو والاصطباغ بصبغته المادية التي حولت الإنسان إلى بهيمة سائمة، بل أضل سبيلاً.

إن في مجتمعنا الإسلامي أزمة، لا بل أزمت (..) يعبر عنها في الممارسات السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والتربوية والخلقية، وتأخذ طابع الازدواجية في السلوك، والانحراف شبة الكلي عن أصالة المبادئ والقيم التي تنتمي إليها الأمة.

والأزمة تلح علينا بصورة عدة من زمن ، ونراها تقعد وتهبط تبعاً لمؤثرات كثيرة وأحداث متلاحقة، إلا أن حدثها قد اشتدت وأصبحت تنذر بشر مستطير (..) منه تدهور الأمة وانحلالها وانعدام أثرها وفعاليتها، وأختزال دورها إلى مستوى هامشي لا يعتد به.

## ماهي مظاهر التخلف؟

للتخلف في العالم الإسلامي مظاهر عديدة تشمل مختلف أبعاد الحياة، مثل :

- ١- التخلف الاقتصادي.
- ٢- التخلف الاجتماعي.
- ٣- التخلف الثقافي والفكري.
- ٤- التخلف السياسي.
- ٥- التخلف العلم والتقني.

## جهود الخروج من التخلف؟

لو فحصنا سجلات المائة سنة الماضية من أعمال المصلحين والمفكرين وجهود الأمة لوجدنا فيها كثير من الوثائق والدراسات ومقالات الصحف والمؤتمرات التي تتصل بموضوع النهضة، هذه الدراسات تعالج الاستعمار والجهل هنا، والفقر والبؤس هناك، وانعدام التنظيم واختلال الاقتصاد أو السياسة في مناسبة أخرى، ولكن ليس فيها تحليل منهجي للمرض، أعني دراسة مرضية للمجتمع المسلم، دراسة لاتدع مجالاً للظن حول المرض الذي يتألم منه منذ قرون. ففي الوثائق نجد أن كل مصلح قد وصف الوضع الراهن تبعاً لرأيه أو مزاجه أو مهنته.

فهناك من رأى أن الأزمة سياسية تحتاج حلاً سياسياً، فركز كل جهوده في التغيير والإصلاح السياسي، وانتقاد فساد الحكم، ومحاولة تغيير أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية.

وهناك من رأى أنها أزمة أخلاقية تستلزم حلاً أخلاقياً، فذهب إلى أن الحل يكمن في الالتزام بالخلق الإسلامي الرفيع، والإقلاع عن المعاصي بمعناها الفقهي فقط، وبالتالي راح يتذمر من الفساد الأخلاقي، واعتبره مكنم الداء.

وهناك من رأى أنها أزمة عقيدية تستلزم إصلاح العقيدة، وأن لاجل إلا بتخليص العقيدة من الكلام والفلسفة، وإعادة تعليم الناس عقائد الإسلام، وإقناعهم بأن الله هو الخالق وهو المعبود الحقيقي، وأن الالتزام بعقيدة التوحيد هو الحل، فتوجه إلى صياغة علم العقيدة من جديد بأسلوب آخر.

على حين أن كل هذا التشخيص لايتناول في الحقيقة المرض بل يتحدث عن أعراضه وقد نتج عن هذا أنهم منذ مائة عام لايعالجون المرض، وإنما يعالجون الأعراض، وكانت النتيجة قريبة من تلك التي يحصل عليها طبيب يواجه حالة مريض بالسل، فلايهتم بمكافحة الجراثيم، وإنما يهتم بهيجان الحمى عند المريض.

## أسباب التخلف (التأخر) :

### أسباب داخلية أساسية:

المرض كامن في نفس المسلم، وفي ثقافته الموروثة من زمن الانحطاط، كما هو كامن في سلوك المسلم و تصرفاته اليومية، وفي قلبه وعقله.. والأزمة تكمن في الأدران العالقة بالمسلم من تراث الانحطاط عبر القرون.

### سبب خارجي ثانوي:

المعامل الاستعماري الذي يستغل ضعفنا وقابلتنا للاستعمار.

والمريض نفسه يريد ومنذ مئة عام أن يبرأ من آلام كثيرة: من الاستعمار ونتائجه، من الأمية بأشكالها، من الفقر رغم غنى البلاد بالمادة الأولية، من الظلم والقهر والاستبعاد، من ومن ومن، وهو لايعرف حقيقة مرضه ولم يحاول أن يعرفه، بل كل ما في الأمر أنه شعر بالألم، ولا يزال الألم يشتد، فجرى نحو الصيدلية يأخذ من الآلاف الزجاجات ليواجه الآلاف الآلام.

وليس في الواقع سوى طريقتين لوضع نهاية لهذه الحالة المرضية، فإما القضاء على المرض وإما إعدام المريض. لكن هناك من له مصلحة في استمرار هذه الحالة المرضية سواء أكان ممن هم في الخارج أو ممن يمثلونهم في الداخل. لقد دخل المريض إلى صيدلية الحضارة الغربية طالباً الشفاء، ولكن من أي مرض؟ وبأي دواء؟ وبديهي أننا لانعرف شيئاً عن مدة علاج كهذا، ولكن الحالة التي تطرد هكذا تحت أنظارنا منذ نصف قرن، لها دلالة اجتماعية يجب أن تكون موضع تأمل وتحليل.

إن نهضة المسلمين تحتاج منا أن نعمل على إزالة معوقات النهضة من جهة، وصياغة مشروع نهضة من جهة أخرى.

## أولاً: معوقات النهضة:

هناك معوقات ذاتية ومعوقات موضوعية، فأما الذاتية هي نابعة من ذاتنا الحضارية بفعل ما أصاب المسلمين من أمراض تصيب المجتمعات والحضارات، وهي سنة الله في خلقه لا يمكن أن تحايينا لأننا مسلمون، بل يصاب بها كل من لم يتحقق بشروط التحصين منها. وهي معوقات اجتماعية ونفسية وفكرية.

وأما المعوقات الموضوعية فهي العوامل الخارجية لتخلفنا وتأخرنا، وهي أساسا الهيمنة الحضارية الغربية، وما جلبت علينا من مختلف التحديات بداية بالاستعمار ونهاية بالعولمة والغزو الفكري والحضاري.

## ثانياً: صياغة مشروع للنهضة الحضارية.

### معوقات النهضة:

#### المعوقات الذاتية ( اجتماعية ونفسية وفكرية )

#### أ- المعوقات الاجتماعية:

##### ١- الحرفية في الثقافة:

الجهل المركب الذي يتمي ربه المثقف العربي بشكل مرضاً مزمناً ومعدياً ومتوارثاً بين الأجيال، لأن الجاهل الذي يقدم نفسه على أنه حامل للشهادة الأكاديمية أو حامل لكتاب الله ، لا يدرك بأنه جاهل ويعتقد بأن الشهادة التي حصل عليها هي المقياس الوحيد لمكانته العلمية ولوقوعه في أسر الغرور وجنون العظمة لا يعترف بأخطائه ولا يصححها.

##### ٢- تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية:

تمزق البناء الاجتماعي للأمة، وسيادة النزعة الفردية في المجتمع مما يؤدي إلى انعكاس معيار القيم، وتعارض مصالح الأفراد والجماعات فيما بينها ، فيحدث الاصطدام الداخلي الذي يقضي على العمل التكاملي الجاد ويؤدي إلى إهدار الكثير من الطاقات الاجتماعية وصرفها فيما لا جدوى منه.

##### ٣- عدم تماسك عالم الأفكار:

أما الأفكار السائدة في العالم الإسلامي اليوم فما هي إلا مزيج من الأفكار التي تعيق التطور والنمو وتتمثل في الأفكار الميتة والأفكار القتالة، ورغم اختلاف مصدرهما إلا أن كلاهما يؤدي إلى الهدم لا البناء.

##### ٤- طغيان عالم الأشياء:

إن طبيعة العلاقة بين الإنسان المسلم اليوم وعالم الأشياء يحددها المعيار الصبباني في التعلق بالأشياء، إذ لم يعد الإنسان يستمد مكانته الاجتماعية من كونه إنساناً ولا من زاده المعرفي وإنما من كمية الأشياء التي يمتلكها ويتصرف فيها.

##### ٥- طغيان عالم الأشخاص:

كما أن الجماهير في مجتمعنا لم تعد تؤمن بمشاريع فكرية معينة، بل كل ما يشد انتباهها هو ذلك الشخص الكارزمي الذي يعتقدون أنه يمتلك جميع الحلول لمشكلاتهم الخاصة، إلى درجة أن يتحول شخص الزعيم إلى وثن يعبد إماماً خوفاً وإماماً انبهاراً وإماماً طمعاً.

##### ٦- سيادة النزعة السياسية:

انحراف الممارسة السياسية في الوطن العربي، بحيث انفصلت السياسة عن القواعد والأسس العلمية التي تقوم عليها وتحولت إلى خداع ومكر وتضليل يمارسه بعض الدجالين لمغالطة أصحاب النوايا الطيبة والسذج من الجماهير، واستخدام جماجم الضعفاء كجسر للوصول إلى السلطة أو البقاء فيها.

## ب- معوقات نفسية:

### ١- غياب الفعالية:

يتميز تفكير الإنسان المسلم اليوم في معظمه بأنه تفكير نظري غير مرتبط بأهداف عملية، وأغلب من يسمون أنفسهم بدعاة التغيير يكثرون الكلام من دون أن يكون لذلك أي انعكاس ايجابي على الواقع.

### ٢- الميل إلى التكديس:

لجوء المجتمع الإسلامي إلى التكديس بدل البناء، فطغيان الشينية أعمى بصيرته وجعله يغفل عن البناء المرهلي التكاملي ويبدله بتكديس منتجات الحضارة إلى جنب بعضها البعض معتقداً أن هذه المنتجات هي التي تصنع الحضارة في حين أن العكس هو الصحيح بحيث أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها ، ويشتمل التكديس على الأشياء والأفكار والأشخاص.

### ٣- القابلية الاستعمار:

إن الاستعمار ما كان ليعمر طويلا في العالم الإسلامي لو لم يجد الأرضية مهيأة لبقائه من خلال ذلك الاستسلام التام بل والوقوف إلى جانبه من طرف البعض وتبنى أطروحاته والدفاع عنها من طرف البعض الآخر ، ومنه فالقابلية للاستعمار إنما تعني تلك الحالة النفسية السلبية المتمثلة في الرضا بالعدو والاستسلام للهوان والعجز عن مواجهة تحديات الواقع ومشكلاته.

## ج - معوقات فكرية:

### ١- النزعة الذرية ( التجزئية):

أن أسباب كربة المشاريع النهضوية ترجع إلى تلك الانطلاقة غير الموفقة التي لا تقوم على الرؤية التكاملية العميقة، والتي لاتدرك أهمية مختلف جوانب الحياة المادية منها والمعنوية، وتأثيراتها المتبادلة فيما بينها، وإنما تقوم على رؤية سطحية تجزئ المشكلات، وتطرحها منفصلة عن بعضها، بل قد تنشغل بجزئية صغيرة وتراهن عليها لوحدتها لتحقيق أهداف النهضة، ولعل هذه النظرة التي تفصل المشكلات عن بعضها وتجزئها هي سبب ذلك الفشل المتكرر لمحاولاتنا النهضوية.

### ٢- غياب النقد الذاتي:

إن المسلم اليوم بمختلف توجهاته ، يعاني من عقدة رفض النقد، الأمر الذي يجعله يتمادى في أخطائه من دون أن ينتبه إليها، وقد يكون سبب هذا الرفض هو التهرب من تحمل مسؤوليات نتائج الانحرافات التي تحدث بين الحين والآخر في مسيرته النهضوية، بحيث أنه يتم اللجوء إلى اتهام الآخر أحيانا واتهام التراث في أحيان أخرى لتبرير العجز أو الخطأ في مقابل الحذر المفرط من توجيه جهاز النقد والفحص للذات.

### ٣- غياب الوعي المنهجي:

العشوائية في العمل ، فبالرغم من وجود النية الخالصة للقيام بالتغيير ، إلا أنها ليست الشرط الوحيد. بل نحتاج إلى المعرفة الواسعة بسنن التغيير الاجتماعي. وهو العنصر المفتقد في الكثير من محاولاتنا النهضوية، بحيث نجهل حتى خصوصيات المرحلة التاريخية التي تمر بها أمتنا.

لذا تجد البعض منا يلجأ إلى الماضي البعيد لاستعارة حلول جاهزة ، أوجدها أصحابها لمواجهة تحدياتهم الخاصة المختلفة زمانياً عَنَّا ، وتجد البعض الآخر يلجأ إلى الضفة المجاورة لاستيراد حلول جاهزة أيضا، أوجدها أصحابها لمواجهة تحديات خاصة بمرحلتهم التاريخية المختلفة عَنَّا.

## ٤- الاغتراب الزماني والمكاني:

اتفاق كل من الإصلاح ودعاة التحديث على تجاهل واقع أمتهم كنقطة انطلاق أساسي لبناء مشروعيهما النهضويين، فعاد دعاة الإصلاح بأفكارهم إلى الماضي للتشبث به والدفاع عنه من دون تمحيص ولا نقد، وتمثل دعاة التحديث مذاهب فكرية غربية لها واقعها الخاص الذي نشأت فيه. وبالتالي فهذا الاغتراب الزماني والمكاني هو الذي أدى إلى التلفيق والفوضى أحياناً وإلى اصطدام الجهود أحياناً أخرى مما عرقل السير في طريق النهوض.

## المعوقات الموضوعية ( الحضارة الغربية):

في مقابل هذه الأمراض الداخلية التي ظلت تنخر جسد الأمة فكراً ونفسياً واجتماعياً ، نجد حاجزاً خارجياً يتمثل في الاستعمار الحضارة الغربية الذي يرفض أن يتحول العبد إلى سيد يتخذ قراراته بكل حرية ومسؤولية، كما يرفض تعدد أقطاب الحضارة الإنسانية ومراكزها، كل هذا يدفعه لإجهاد أي مشروع نهضوي أو تحرري يحاول تحقيقه المستضعفون.

وهناك مجموعة الأدوات والآليات التي يوظفها الغرب كقيود وحواجز تمنعنا من تحقيق أهدافنا الإنسانية والحضارية ونذكر منها:

١- العمل على اختراق مختلف المبادرات التي يهدف أصحابها لتغيير أوضاعهم وأحوالهم، من خلال إدخال مجموعة من المتغيرات تساهم في الانحراف بها عن هدفها الرئيسي ، للمحافظة على المصالح الاستعمارية وإجهاض المبادرات الأصلية من خلال إبعادها عن مسارها الصحيح.

٢- تسخير إمكانيات مادية كبيرة وإمكانيات بشرية عالية المستوى للاستعلام عن حركة الأفكار للتخلص منها إما بتثويتها والانحراف بها إذا كانت فعالة وإما بتضخيمها وتوسيع نشرها والترويج لها إذا كانت متوافقة مع مصالحه.

٣- توظيف الاستشراق في عملية الصراع الفكري لارتباطه بمؤسسات الاستعلامات التابعة للاستعمار، وإذا كان دور الفريق الذي حاول تقزيم أو إلغاء دور الحضارة الإسلامية المساهمة في المنجزات الإنسانية واضح للغاية، فإن دور الفريق الثاني الذي نصفه بالموضوعي هو الآخر مؤسسة لإنتاج مخدرات تمجيد الماضي الزاهر للأمة للانبهار به عوض مواجهة تحديات الواقع المختلف.

٤- اهتمام الغرب بالبعثات الطلابية للانحراف بها عن طريق طلب العلم لتعود بالشهادة الأكاديمية ولكن من دون زاد علمي ومعرفي ، فتوظف كأداة لتكريس الرداءة والتشجيع عليها في أوساط النخبة المثقفة، وفي حالة ما إذا أثبت بعضهم امتيازهم فسبحيطه بالتسهيلات والإغراءات من كل جانب للبقاء هناك. بل تغلق كل الأبواب في وجهه إذا ما عاد إلى بلاده ، لأن أعداء النجاح يرفضون وجود الممتازين بينهم.

٥- تحطيم قدرات الإنسان المسلم من خلال الانحراف بسلوكاته إلى ميدان الوقاحة والرذيلة وذلك من خلال محاربة القيم الأخلاقية بمختلف الطرق وتشجيع دعاة الانحلال بأسماء مختلفة، ويهدف بذلك إلى تفكيك الروابط الأخلاقية لتمزيق شبكة العلاقات من جهة وإلى تغيير البنية الثقافية السائدة من جهة أخرى بالإضافة إلى المحافظة على حالة التخلف.

٦- تشجيع التعصب للأنا سواء كأفراد أو جماعة، لينقسم المجتمع إلى فريقين متناحرين فريق يتخذ من الغرب ملهما له فيستسلم له خاضعاً مستكيناً ويرفع ألوية الدفاع عنه، وفريق ثان يجعل من الغرب شيطاناً بليداً فيظل يواجهه بانفعال متزايد، والواقع أن الفريقين من صنع مخابر الصراع لأن ما يؤول إليه نشاطهما في النهاية هو النتيجة نفسها، وهي إبعاد المسلم عن واجباته اليومية وتحدياته الواقعية وتخديره أما بانبهاره بالغرب وإما بالحماس والانفعالات التي لا معنى لها في صناعة الحضارة.

٧- تأثير الغرب مرتبط بجانبين، جانب سلبي وجانب إيجابي ، فأما الأول فيتمثل في خطئه ومؤامراته لتحتيم الأفكار الفعالة والعملية وتفكيكها، وأما الثاني فيتمثل في خلق أفكار مناسبة له ومصالحة، ويسعى لنشرها لتصبح جزءا من يوميات أبناء الشعوب الإسلامية، بل إن حماسة الشعوب وانفعاليتها تجعلها تنظر إلى هذه الأفكار بأنها من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها.

### ما هو سبيل النهوض بالمسلمين؟

لابد من الخروج من النزعة الانفعالية التي تتجاهل الحاضر تجاهلا تاما بسبب الانبهار بمنجزات الغير سواء من القدماء أو الغربيين.

ولابد من بناء مشروع للنهضة قائما على التحليل العلمي والعقلاني لظاهرة التخلف الحضاري الذي تعيشه الأمة، بحيث نقوم بداية بتحديد المرحلة التاريخية التي نعيشها، وانطلاقا من خصوصيات هذه المرحلة، نحدد الخصائص النفسية والفكرية والاجتماعية لإنسانها، والتي تتمثل في أهم المعوقات الذاتية التي وقفت في وجه المحاولات النهضوية ومنعتها من تحقيق أهدافها الحضارية.

نقوم بتفكيك معوقات النهضة وبناء مشروع جديد بناء على تحليل لمظاهر وأسباب التخلف وصياغة رؤية كلية تستوعب مختلف أبعاد النهضة، ونصمم منهاجا قابلا للتطبيق نظريا وعمليا يحقق أهدافنا من النهضة.

### ١- الإنسان ، محور عملية النهضة:

إن المشروع الإصلاحي يبدأ بتغيير الإنسان ، ثم بتعليمه الانخراط في الجماعة ثم بالتنظيم فالنقد البناء.

وتبدأ عملية التطور من الإنسان لأنه المخلوق الوحيد القادر على قيادة حركة البناء، وتحقيق قفزات نوعية، تمهيدا لظهور الحضارة.

فالمجتمعات في حاجة عندما تريد بناء أو إعادة بناء نفسها إلى الإنسان الجديد الذي يوظف كل طاقاته وإمكاناته مهما كانت بسيطة.

**ولكي تعود المجتمعات من جديد إلى ساحة الفعل الحضاري لابد من أن تعيد صياغة هذا الإنسان وتوجيهه عبر:**

- توجيه الثقافة.
  - توجيه العمل.
  - توجيه رأس المال.
- وهي الأمور التي يمكن من خلالها للإنسان أن يؤثر في واقعه ( أي أنه يؤثر بفكره وعمله وماله).

### ٢- من التكديس إلى البناء:

إن العالم الإسلامي بدأ يتجه إلى جمع الأكوام من المنتجات الحضارية أكثر من اتجاهه إلى بناء حضارة وهو ما يسمى بالتكديس.

فينتهي بنا الأمر إلى ما أسماه **مالك بن نبي** بالحضارة التي تكون منتجاتها وليست المنتجات هي التي تكون الحضارة. وقد يتساءل شخص ما الذي نأخذه من الحضارة الغربية؟ وللإجابة على ذلك يقول مالك: " إن علينا أن نأخذ من الحضارة الغربية الأدوات التي تلزم حضارتنا...حتى يأتي يوم نستطيع فيه الاستغناء عنها بمنتجاتنا".

### ٣- دور الأفكار في البناء الحضاري:

هناك أهمية كبيرة للأفكار وتأثيرها على الفرد والمجتمع وبناء الحضارات. فالفكرة ركيزة هامة في حياة الشعوب، ودليل على حيويتها وتقدمها، أو على العكس دليل على جمودها وتخلفها، لأن نتاج العقل البشري الذي خلقه الله لهذه الغاية فالنجاح الفكري وسيلة للقضاء على الأفكار الميتة لأن

" تصفية الأفكار الميتة وتنقية الأفكار الميتة يعدان الأساس الأول لأية نهضة حقة".

وكذلك فإن انحراف الأفكار عن مجراها بالنسبة للأفكار الجوهرية تبين لنا مقدرنا عدم فعالية المجتمع مما يؤدي إلى الزيغ من جيل إلى جيل عن طريق الامتصاص وتعتبر الأفكار في هذه الحالة هي الجراثيم التي تكون كالعدي الاجتماعية لنقل الأمراض.

فينعكس المرض على المجتمع وأحياناً قد يحدث انعكاس الفكرة المرودة فيعود ذلك بالخير بسبب اكتشاف بطلانها.

### ٤- ثقافة النهضة و ثقافة التخلف:

مادامت الثقافة هي ذلك المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه و شخصيه و سلوكه ، فإن أنماط الشخصية و السلوك الإنساني هي تجسيد واقعي لما يلقاه الفرد في بيئته الاجتماعية.

و لنقرب الصورة أكثر ونحوّر المثال الذي دلل به ابن نبي على وظيفة الثقافة عندما شبهها بوظيفة الدم الذي يغذي جسم الإنسان، نتصور من الناحية البيولوجية أنّ هذا الدم يحمل في تركيبته جراثيم قاتلة، ونتصور أن مناعة هذا الإنسان تتناقص بتقدمه في العمر فإن هذه الجراثيم تزداد خطورتها على حياته، فهي إن لم تقتله جعلته عرضة للمرض والوهن، فكذلك الثقافة في مراحل تخلف المجتمعات تتولد في نطاقها السلبيات وتتراكم مع الزمن لتحمل في طياتها أفكاراً قاتلة أو ميتة يمتصها جسم المجتمع، فتقضي على فعاليته وعلى تحضره وتقوده عند نهاية دورة حضارته إلى التخلف و الانحطاط.

دعواتكم : Ibtihalino